الرواية الشفوية ودورها في تدوين تاريخ الحجاز
"رواية عبد القادر إدريس أنموذجاً"

Oral Narration and Its Role in Documenting the History of the Hijaz: "The Novel of Abdul Qadir Idris as a Model

أ.د. حسام الدين عباس الحزوري

Prof. Dr. Hussam El-Din Abbas Al-Hazouri

جامعة حمص– سورية

University of Homs - Syria

E-mail: Hdh1979@hotmail.com

الكلمات المفتاحية: الرواية الشفوية الحجاز– الشام – مكة المكرمة– الثورة العربية– الملك عبد العزيز.

Keywords: Oral narration: Hejaz, Levant, Mecca, Arab Revolt, King Abdulaziz.

الملخص

كانت مكة المكرمة خلال العصر العثماني مقصداً للمسلمين ومنهم الشوام ليبيعوا فيها ما بحوزتهم من بضـــائع متنوعة، ويؤدوا شـــعيرة الحج والعمرة، وكان للشـــوام من خلال قافلة الحج الشـامي دوراً بارزاً في إمداد أسـواق مكة المكرمة بالكثير من البضـائع المختلفة الأنواع، وبفضـل الرواية الشفوية التي بين يدينا والتي تم تسجيلها للشيخ عبد القادر إدريس من قبل حفيده الدكتور خالد إدريس، كنوعٍ من شهادته على عصر كان فيه أول سائق للسيارة في الحجاز للشريف حسين بن علي ومن بعده الشريف علي، ومن بعد ذلك لحكام الدولة السعودية بدءً من الملك عبد العزيز ومن ثم الأمير فصيل بن عبد العزيز حتى استلامه للملك.

ومن خلال التسجيل والرواية الشفوية التي بين يدينا، وبعد تفحصها ومطابقتها بالمصادر والمراجع التاريخية المعاصـرة تأكدنا من صـحة المعلومات التي رواها الشـيخ عبد القادر إدريس، وتفرده ببعض الحوادث التي لم نعثر عليها في المصـادر لأنها حدثت معه ومع مجموعته بشـكل اســـتثنائي، ويعطينا فكرة واضـــحة عن الحقبة التاريخية التي تحدث عنها، والتي تمتد من حكم الشريف حسين حتى حكم الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه.

Abstract

During the Ottoman era, Mecca was a destination for Muslims, including the Levantines, to sell their various goods and perform the Hajj and Umrah rituals. The Levantines, through the Levantine Hajj caravan, played a prominent role in supplying the markets of Mecca with many different types of goods.

Thanks to the oral narration that we have in our hands, which was recorded for Sheikh Abdul Qadir Idris by his grandson, Dr. Khaled Idris, as a kind of testimony to his era, he was the first driver of the car in the Hijaz for Sharif Hussein bin Ali, and after him Sharif Ali, and after that for the rulers of the Saudi state, starting from King Abdulaziz, then Prince Fasil bin Abdulaziz until he took over the kingdom.

Through the recording and oral narration that we have in our hands, and after examining and comparing it with contemporary historical sources and references, we confirmed the accuracy of the information narrated by Sheikh Abdul Qadir Idris and his uniqueness in some incidents that we did not find in the sources because they happened to him and his group in an exceptional way, giving us a clear idea of the historical era that he spoke about, which extends from the period of the rule of Sharif Hussein until the reign of The rule of King Abdulaziz Al Saud, may God have mercy on him.

المقدمة

لا يخفى على أي باحث في التاريخ مدى أهمية المصادر والمراجع في كتابة أي بحث تاريخي، لأنها عصب البحث ومن أهم أدواته، وتتنوع المصادر التاريخية ما بين الكتب والأبحاث والرسائل الأكاديمية، والآثار، ....إلخ.

ومن المصادر والمراجع التاريخية الهامة كانت الرواية الشفوية، لأن صاحبها يُعد شاهد عيان على الحدث الذي يروي شهادته عليه، فكيف إذا كان هذا الشاهد جزءاً من صنّاع الحدث التاريخي الذي يروي شهادته عنه؟

وقد تعرض التاريخ الشفوي للازدراء من قبل المؤرخين كطريقة للبحث التاريخي، واعتبروا التاريخ الشفوي غير موثوق، مفترضين أن قصص الناس عن أنفسهم في الماضي غير موثوقة. وكان استخدام التاريخ الشفوي في تاريخ الشرق الأوسط يطرح المزيد من العقبات، حتى مع وجود تحول في قبول واستخدام طريقة التاريخ الشفوي، كإحدى طرق البحث التاريخي في الولايات المتحدة وأوروبا، ظلت مناهج التاريخ في الشرق الأوسط تركز على التاريخ السياسي للنخبة، تاركين التاريخ الشفوي خارج البحث. (بشارة، ٢٠٢٥)

لذلك فإن التاريخ المحلي –المنقول إلينا مشافهة على وجه الخصوص– بواسطة شهود العيان هو عرضةٌ للزيادة والنقص، ولا يسلم من شوائب الكذب، والمبالغة، والتلفيق، وقلب الحقائق، كغيره من التواريخ الأخرى التي لا تخلو من أساطيرَ مختلقَة، وأخبار واهية لا خِطام لها ولا زِمام. ومن هنا كانت مهمة الباحث المنصف هي الكتابة بتروّ وحذرٍ وتمحيص للرواية التي بين يديه، فيمعن النظر فيها، ويعمل العقل في قبولها أو ردها، بعيدا عن التأثر بعواطف العوام، وأساطيرهم التي تروى في المجالس، ويتسلى بها العامة في نواديهم، وتقُّصها العجائز على أطفالها عند النوم. فهناك فرق بين روايات العوام وأخبار الثّقات. (المهنا، ٢٠١٥)

ومن هذال المنطلق كان بحثنا الذي بين يدينا معتمداً على رواية الشيخ عبد القادر إدريس وشهادته عن حقبة تاريخية هامة من تاريخ الشام والحجاز.

الشمال السوري موطن الأجداد للشيخ عبد القادر إدريس

في الشمال الغربي من سورية وعلى الطريق البري بين دمشق وحلب تتربع منطقة معرة النعمان (شربل، ١٩٩١، صفحة ٥٥٣)، وجاء اسم المعرة من السريانية ومعناها (المغارة) وسميت بذلك لأن هذه المدينة مشتملة على عدد كبير من المغاور، واسم المعرة في السريانية وفق ما ذكر الجندي هي (المغارة)، وألحق بها كلمة النعمان نسبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي الجليل، الذي مات فيها وهو ذاهب باتجاه حمص، فسميت به، وقال

البعض سميت بذلك نسبة إلى النمان بن عدي بن غطفان التنوخي (الجندي، ١٩٦٣، الصفحات ١/٢٤-٢٦).

فتحت معرة النعمان على يد أبو عبيدة بن الجراح سنة (١٥هـ/٦٣٧م) هذه المدينة التي تفاخر أهلها بتراثهم الفاحش تاريخياً بسبب وقوعها على طريق التجارة العالمية، الأمر الذي دفع الصليبيون إلى احتلالها بعد احتلال أنطاكيا، فهاجمتها جيوش ريموند الصنجيلي في (شعبان ٤٩١هـ/تموز١٠٩٨م) (عاشور، ٢٠١٠، صفحة ١/٢١٩)، ولكن هذا الهجوم كان مصيره الفشل، ثم تعرضت لهجوم ثانٍ في (ذي الحجة٤٩١/تشرين الثاني١٠٩٨م)، وشارك الأرمن والنصارى الصليبيون في هذا الهجوم الناجح، ورغم الأمان لأهلها إلاّ أن الصليبيون قاموا بمذبحة كبيرة بأهلها راح ضحيتها بالآلاف من الأبرياء (درويش، ٢٠١٣، الصفحات ١/٣٥-٨٠).

ومعرة النعمان هي المنطقة التي سكنت فيها أسرة إدريس أو الدريس كما يطلق عليهم هناك التي ينتسب إليها الشيخ عبد القادر بن محمد إدريس، وفيها كان محركهم التاريخي وتناسلوا وعاشوا حتى يومنا هذا. وفيها ولد محمد بن عبد الرحمن إدريس والد الشيخ عبد القادر إدريس صاحب بحثنا هذا.

خريطة لبلاد الشام توضح موقع معرة النعمان الجغرافي

وكان لآل إدريس منطقة أخرى عاش قسم منهم فيها وهي (مرعيان) حسب ما أفاد به

الشيخ عبد القادر إدريس، وهو الشيخ أحمد عبسي (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٤).

صورة لمدينة معرة النعمان وجامعها من أرشيف السلطان عبد الحميد

تقع قرية مرعيان في الشمال الغربي من سورية، وهي قرية من قرى جبل الزاوية، وتتبع ناحية إحسم، منطقة أريحا، محافظة إدلب. وتقع مرعيان كما جاء في المعجم الجغرافي السوري فوق مرتفع كلسي يطل غرباً على وادٍ ذي قاع عريض ضعيف الانحدار تكثر فيه الأشجار، ينفتح شرقاً على الوادي الشرقي، وتبعد مرعيان عن بلدة إحسم ٣كم باتجاه الشمال الشرقي، بيوتها القديمة من الحجر والطين، والحديثة من الحجر والإسمنت، وهي تمتد على جانبي الطريق المؤدية إلى إحسم، ويزرع سكانها الأشجار المثمرة وخاصة العنب والكرز والتين، بالإضافة إلى زرعة الخضار وتوجد في مرعيان زاوية دينية، ويقال أن جبل الزاوية استمد اسمه منها (مجموعة مؤلفين، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ١٩٩٣، صفحة ٢٠٥/٥).

وقد تعددت الروايات حول تسميته مرعيان، فتقول إحداها بأن الاسم الأصلي هو (ممر الأعيان) ويرجعون السبب في ذلك إلى موقعها الاستراتيجي كبوابة دخول نحو جبل الزاوية من جهة الشمال. في حين جاء في رواية ثانية أن أصل التسمية (بئر العيان) لكثرة عيون الماء فيها والتي قُدر عددها بـ (٣٦٠) عيناً، ولسهولة الوصول إلى المياه الجوفية فيها من خلال حفر بئر لا يتجاوز ستة أمتار، وكانت تطفو على سطح الأرض لشدة غزارتها. في الوقت ذاته تورد رواية أخرى أن سبب التسمية جاء من (أم الرعيان) والسبب في ذلك كثرة مجيء قطعان

الماشية إليها للشرب من العيون الوفيرة فيها (مبارك، ٢٠١١، صفحة ٧٧).

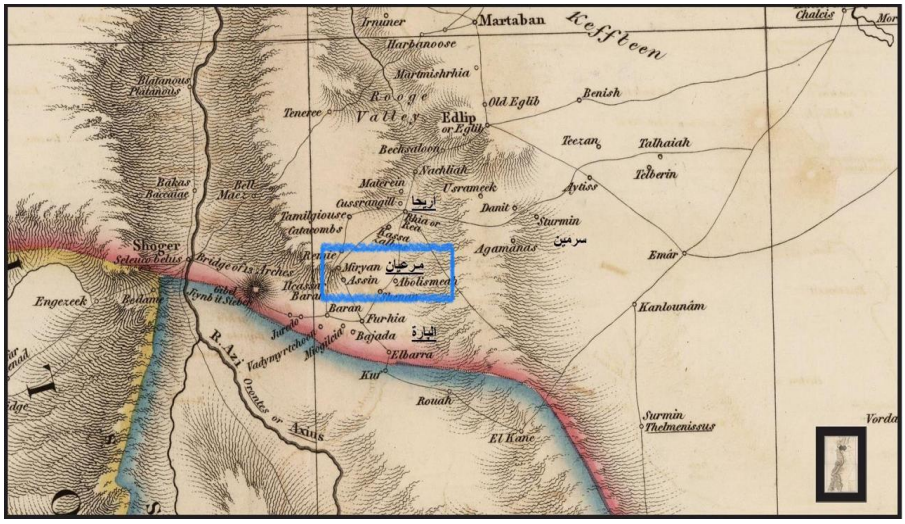

خريطة توضح موقع قرية مرعيان

كما كان لسكان معرة النعمان ومرعيان خبرة في التجارة، ورثوها من خلال مرور القوافل التجارية القادمة من تركيا إلى سورية ومنها إلى الخليج العربي. ومن هؤلاء التجار كان عبد الرحمن محمد إدريس الذي عمل بالتجارة مع الحجاز، فكان يذهب بتجارته إلى الحجاز ويعود إلى مرعيان (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٥).

تزوج عبد الرحمن إدريس من السيدة حبابة في بداية القرن الرابع عشر الهجري، وكان يذهب بتجارة من سورية إلى الحجاز، حيث وجد في الحجاز حوالي ٢٠ أسرة من أصول سورية تسكن الحجاز ولا سيما مكة المكرمة خلال حكم الدولة العثمانية وسيطرتها على الشام والحجاز آنذاك.

كانت علاقة الشام التجارية بالحجاز قديمة جداً عبر عصور التاريخ المختلفة، وخلال العصر العثماني كان لقافلة الحج الشامي أهمية بالغة حيث كانت تنقل علماء الشام وتجارها إلى الحجاز، وتضم بالإضافة إلى الشاميين حجاج الجزيرة وكردستان، وأذربيجان، والقوقاز، والقرم، والأناضول، والبلقان (الدوسري، ٢٠١٨، صفحة ٦٠٥).

ولم يكن للتجارة الدور الوحيد في انتقال الشوام من الشام إلى الحجاز، بل كان هناك أسباباً أخرى دينية وعلمية وسياسية أيضاً (الدوسري، ٢٠١٨، الصفحات ٦٠٧-٦٠٩).

كانت مكة المكرمة خلال العصر العثماني مقصداً للشوام ليبيعوا فيها ما بحوزتهم من بضائع متنوعة، ويؤدوا شعيرة الحج والعمرة، ونذكر من هؤلاء التجار الشيخ محمد بن عمر الدمشقي، (ت ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) (المحبي، ١٩٩٧، صفحة ٣٢/٤)، (والشيخ محمد بن حسين

الشهير بابن سعد الدين (ت١٠٢٠هـ/١٦١١م) (المحبي، ١٩٩٧، صفحة ١٦٠/٤).

ومنهم أيضاً الشيخ جمال الدين الدمشقي (ت١٠٧٨هـ/١٦٦٨م) وكان من ميسوري الحال عند قدومه لمكة وكان له أقارب أيضاً تجار لهم شهرة واسعة بالمجتمع المكي، وكان ممن يبيع القماش، وفي نفس الوقت تلقى علومه على يد مشايخ مكة عند نزوله بها، وله خيرات كثيرة سواء في بلده أو في مكة المكرمة (المحبي، ١٩٩٧، صفحة ٤٩٠/٢).

وكان للشوام من خلال قافلة الحج الشامي دوراً بارزاً في إمداد أسواق مكة المكرمة بالكثير من البضائع المختلفة الأنواع، فقد تخصص التجار المصاحبين للقافلة والقادمين من حلب بجلب عدد من البضائع التي كان السوق المكي بحاجة إليها (بروكهارت، ١٩٩٢، صفحة ١١٩)، فمنهم من تخصص بجلب السلع والمواد الغذائية، كالحبوب والحنطة والأرز والسكر والشاي والسمن وغير ذلك، ومنهم من جلب الأقمشة، والصوف والحرير والقطن، وزاول حجاج الشام التجارة في أسواق مكة المكرمة من خلال ما جلبوه من بضائع أخرى كالبسط والسجاد، والعسل والمكسرات والزيت والمربى وماء الليمون والأسماك المملحة، وكذلك الأواني النحاسية، والصناديق الخشبية المطعمة بالصدف، وغير ذلك من البضائع (رفعت، ١٣٤٤هـ، صفحة ٤٤٢/١) (الزهراني و غباشي، ١٩٩٨، صفحة ٤٩).

وتشير المصادر التاريخية إلى أمر غاية في الأهمية تمثل في سطوع نجم أسرة شامية من منطقة معرة النعمان وهي قريبة جداً من مرعيان الأمر الذي يعطينا تفسيراً لقدوم الكثير من تجار تلك المنطقة إلى بلاد الحجاز، ولاسيما مكة المكرمة. ففي القرن السابع عشر الميلادي سطع نجم أسرة (العظم) حينما استطاع جدهم إبراهيم تسلّم زمام موقع عسكري في التخوم الشمالية لولاية دمشق، فقد بدأ حياته جندياً يقيم في معرة النعمان – والتي سيكون لصاحب قصنا بعض الوقائع فيه– وكان ابنه إسماعيل بن إبراهيم العظم الذي ولد في معرة النعمان سنة (١٠٥٨هـ/١٦٤٩مم) وبها نشأ وتقلبت به الأحوال إلى أن أصبح حاكماً لمعرفة النعمان ثم لمدينة حماة، وأغدقت عليه الدولة العثمانية بالهبات والإقطاعات في حمص وحماة ومعرة النعمان، ومُنح لاحقاً منصب ولاية طرابلس الشام وأمير الجردة، هو أمير القافلة التي تصاحب الحجاج وتمدهم بما يلزمهم (البديري، ١٩٥٩، صفحة ٢٩٣).

وفي العام (١١٣٧–١١٣٨هـ/١٧١٧م) تولى أمور الشام وأمرة الحج، فكان أول والي من الشام من أسرة آل العظم من مدينة المعرة. ثم توالى أمر آل العظم في ولاية الشام وأمرة الحج حتى سنة (١٢٠٩هـ/١٧٩٥م) مع ولاية عبد الله باشا العظم. وهذا السبب الذي طالما كان يجول في خاطرنا عن سبب قدوم أهل المعرة ما حولها، ولاسيما مرعيان إلى مكة والتجارة

فيها والعمل مع قافلة الحج الشامي وهو الصلة الوثيقة التي جعلت آل العظم يعتمدون على أبناء منطقتهم في قوافل الحج الشامي، وفي الوظائف الخاصة بالولاية وبطريق قافلة الحج والتجارة (الرشيدي، ٢٠١٦، الصفحات ١٤١٨-١٤٢٢).

ومن البيوت المكية المتعارف عليها أنها من بلاد الشام في مكة المكرمة على سبيل المثال لا الحصر خلال عصر الدراسة نذكر: هاشم – الجبري – الخشيفاتي – الخطيب الغزاوي – العلاف – القدسي (كيفي، ٢٠١٣، الصفحات ٨١-٨٢).

الشيخ عبدالقادر محمد إدريس الولادة والنشأة:

في العام (١٣١٦هـ/١٨٩٨م) قَدِمَ محمد عبد الرحمن إدريس برفقة زوجته حبابة إلى الحجاز وبالتحديد مكة المكرمة في تجارة، وهو العام الذي وُلِدَ فيه الشيخ عبد القادر، وذلك حسب إفادة الشيخ عبد القادر، ودَعَّم رأينا هذا ما بحوزتنا من هوية سعودية وجواز سفر الشيخ عبد القادر (ادريس، ٢٠٢٥، صفحة ٦).

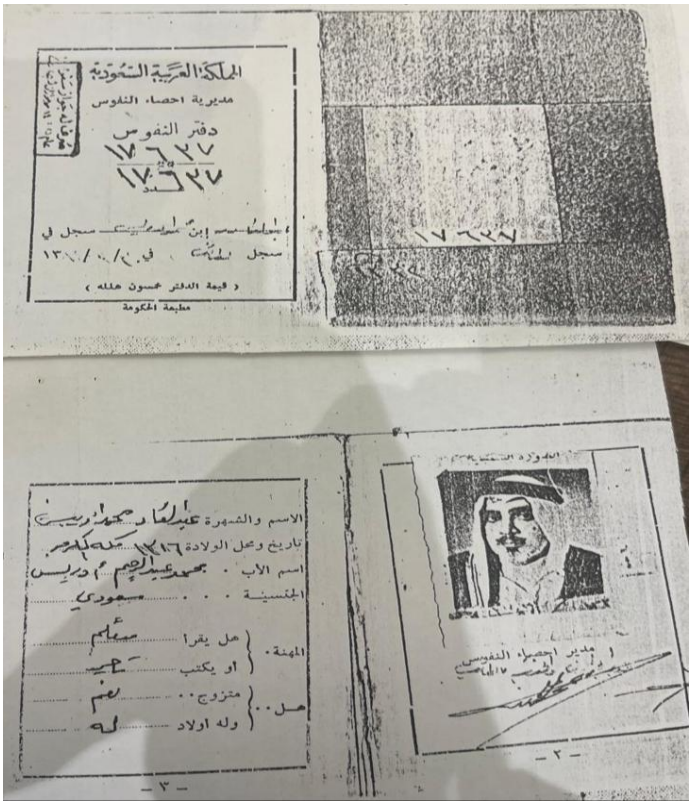

صورة لهوية الشيخ عبد القادر إدريس السعودية

ومما زاد تأكيدنا وتثبيت رأينا ما عثرنا عليه في سجلات النفوس العثمانية لشهادة ميلاد الشيخ عبدالقادر التي تؤكد ميلاده في مكة المكرمة سنة (١٣١٦هـ/١٨٩٨م) (الأرشيف العثماني)، فيقول الشيخ عبد القادر: "كان أبي يأتي إلى مكة وجاء ذات مرة برفقة والدتي حبابة

وقد ولدتني في مكة" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٦).

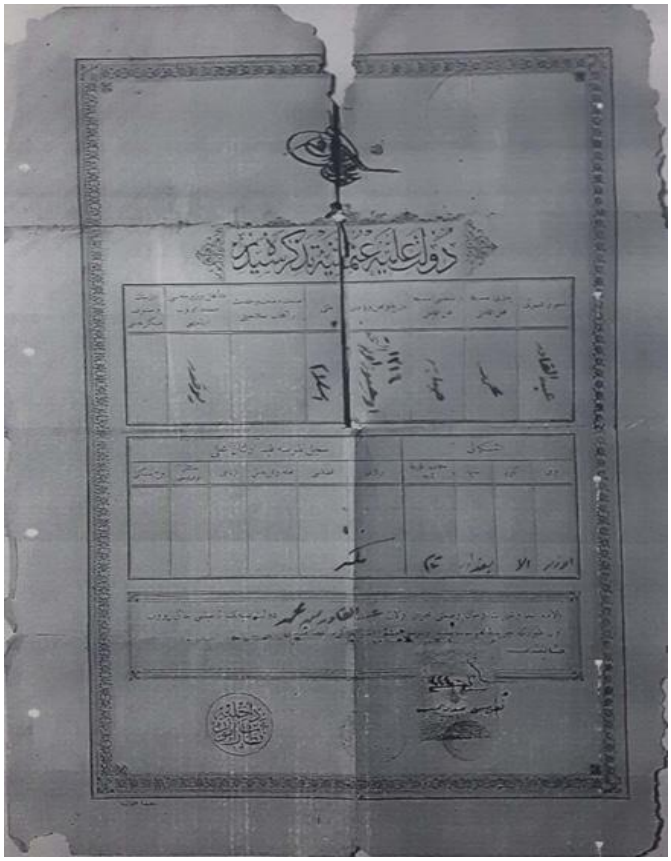

شهادة ميلاد الشيخ عبد القادر إدريس العثمانية من أرشيف النفوس في أنقرة

وهناك رأي لأحد أفراد أسرة الشيخ في معرة النعمان الذي قال بأنه ولد في معرة النعمان وفق رواية جدته لأمه والتي هي شقيقة الشيخ عبد القادر أديبة التي ماتت في سورية (هيثم إدريس، ٢٠٢٤، صفحة ١).

سكن محمد عبدالرحمن وزوجته وابن عبدالقادر في مكة بجوار ابن عمه محمد سعيد إدريس، وكان محمد عبدالرحمن يتردد بين المعرة ومكة حتى سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) حيث كان في المعرة وتم سوقه إلى التجنيد العثماني المعروف باسم السفر برلك، أو كما يطلق عليه في الشام(الأخذ عسكر) وهو سوق الشباب العرب للقتال مع الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى سنة (١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، ووفق السجلات العسكرية العثمانية فإن المرحوم محمد عبدالرحمن استشهد في معركة (جناق قلعة Ganak kale caphesi) الفيلق الثالث الكتيبة (٢) فئة المشاة (الأرشيف العسكري، ١٩١٨).

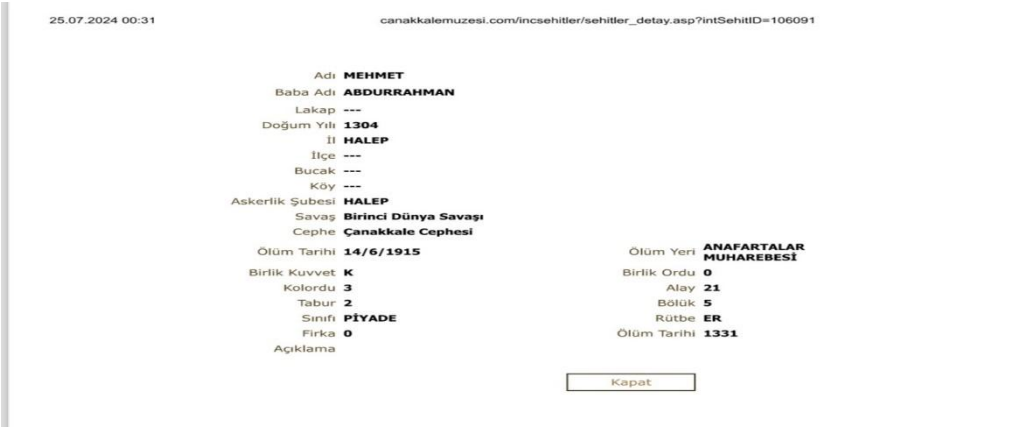

25.07.2024 00:31 canakkalemuzesi.com/incsehitler/sehitler_detay.asp?intSehitID=106091

Adı	MEHMET		
Baba Adı	ABDURRAHMAN		
Lakap	---		
Doğum Yılı	1304		
İl	HALEP		
İlçe	---		
Bucak	---		
Köy	---		
Askerlik Şubesi	HALEP		
Savaş	Birinci Dünya Savaşı		
Cephe	Çanakkale Cephesi		
Ölüm Tarihi	14/6/1915	Ölüm Yeri	ANAFARTALAR MUHAREBESİ
Birlik Kuvvet	K	Birlik Ordu	0
Kolordu	3	Alay	21
Tabur	2	Bölük	5
Sınıfı	PİYADE	Rütbe	ER
Firka	0	Ölüm Tarihi	1331
Açıklama			

Kapat

الهوية العسكرية لمحمد عبد الرحمن إدريس والد الشيخ عبد القادر

وبحسب السجلات العسكرية للدولة العثمانية، فإن عدد الشهداء المسجلين من ولاية حلب في الحرب العالمية الأولى هو (٣٠٦٣) شهيداً، وهذا العدد يشمل كل ولاية حلب التي من ضمنها إدلب وحارم ومعرة النعمان وجبل سمعان وجسر الشغور ومنبج والرقة، وفي دراسة عن معركة جناق قلعة ورد إسم المرحوم محمد عبد الرحمن إدريس ضمن الشهداء وجاء ترتيبه في القائمة رقم (٦٣٨) (شمسي، ٢٠١٩، صفحة ١٩٠،٢٨٠)، الأمر الذي يعزز ما بحوزتنا من وثائق ومعلومات

632	محمد	شيخ عمر		حلب معرة النعمان
633	محمد	طاهر		حلب جبل سمعان
634	محمد	طاهر كاسكين		حلب معرة النعمان
635	محمد	عاتوقي حجي حمدو		حلب
636	محمد	عبجي		حلب جسر الشغور
637	محمد	عبد الحق		حلب ادلب
638	محمد	عبد الرحمن		حلب

القائمة من بحث الأستاذ أحمد فوزي شمسي

وقبل رحيله إلى الخدمة العسكرية، كان المرحوم عبد الرحمن إدريس قد أنجب ولد هو الشيخ عبد القادر، وبنتان هما زهرة وأديبة.

بقي الشيخ عبد القادر في المعرة حتى بلغ من العمر حوالي عشر سنوات ثم قدم في تجارة إلى مكة مع الحاج خالد شمسي باشا الذي تزوج من أخت الشيخ عبدالقادر فيما بعد، حيث عاد المرحوم الحاج خالد شمسي باشا إلى معرة النعمان وتزوج من السيدة أديبة إدريس، وبقي الشيخ عبدالقادر في مكة، وعاش في كنف عمه محمد سعيد الذي كان يقيم في مكة، كما أسلفنا سابقاً (هيثم إدريس، ٢٠٢٤، صفحة ٢).

وذكر الشيخ عبد القادر أنه تلقى بعض التعليم في مدرسة بجوار الحرم المكي حتى عرف القراءة والكتابة بشكل يسير (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٧).

ومنذ تلك المدة لم يرجع الشيخ عبد القادر إلى المعرة وخاصة بعد وفاة أمه التي ماتت قبل قدومه إلى مكة، فعاشت أخته زهرة وأديبة عند عمهم عبسي في قرية مرعيان حتى قررت الأسرة جلبهم إلى معرة النعمان ليعيشوا فيها مع أعمامهم حتى بلغن وتزوجن (هيثم إدريس، ٢٠٢٤، صفحة ٢).

دور أسرة إدريس في المعرة:

يعود أصل أسرة إدريس إلى معرة النعمان، وأغلب العائلة تسكن فيها باستثناء قسم صغير يسكن مرعيان وذلك بسبب المصاهرة والزواج من أسر مرعيان. والعائلة منذ القدم تسكن منطقة المعرة، وكان لآل إدريس والذين عرفوا أيضاً باسم(الدريس) شخصيات لها وزنها العلمي والاجتماعي والاقتصادي، فكان منهم التاجر أحمد عبسي إدريس وهو الجد الأكبر للعائلة المتوفر لدينا اسمه حتى الآن وفق ما زودتنا به السجلات العثمانية.

ففي العام ١٢٨٧ روملي المقابل (١٨٧٣م) جرت مراسلة من سكان وتجار المعرة للصدر الأعظم في استانبول وذلك وفق الوثيقة المؤرخة في ٢١ شباط ١٢٨٧روملي/ ذي الحجة ١٢٨٨هـ، والتي يشتكون فيها من متصرف أريحا الذي عين مفتي شافعي في معرة النعمان، وكان (منفعل وعاجز عن الإفتاء) وهذا الأمر كان لغاية مكاسب شخصية للمتصرف والاستحواذ على كل شيء بما فيها تجارة المعرة. وكان من بين الموقعين على العريضة من الأعيان والوجهاء التاجر أحمد عبسي من أسرة إدريس (الأرشيف العثماني، ٢٠٢٤).

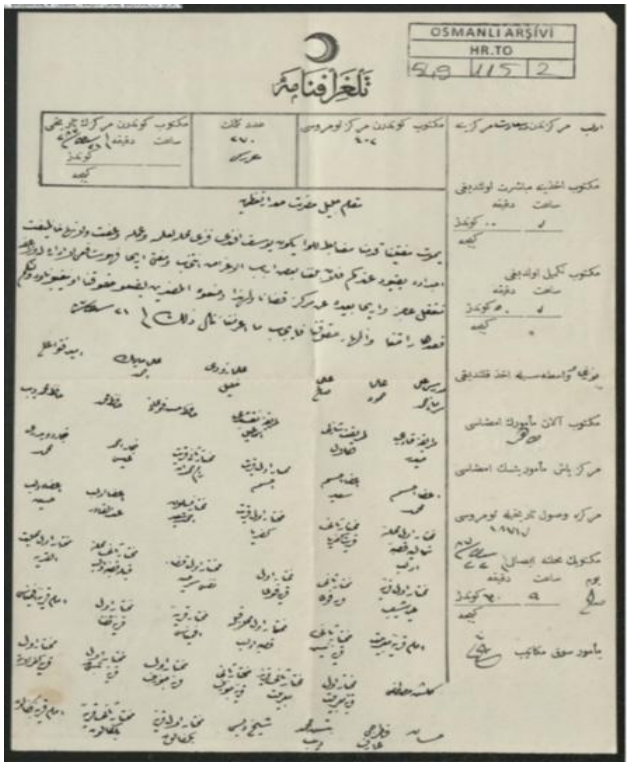

الوثيقة رقم ٢-١١٥-٥٤٩ من أرشيف الدولة العثمانية

وكذلك الحال زودنا الأرشيف العثماني بوثيقة مؤرخة في العام ١٢٨٨هـ تحمل طلب إلى الباب العالي من سكان معرة النعمان لإبقاء قائم مقامها راغب أفندي ويطلبون الاسترحام في بقائه في منصبه لما له من سيرة حسنة بين الناس، وكان من بين الموقعين على العريضة التاجر أحمد عبسي إدريس. الأمر الذي يدل على المكانة الاجتماعية للتاجر أحمد عبسي وهو من أسرة إدريس في المعرة آنذاك ودوره الاجتماعي البارز (الأرشيف العثماني، ٢٠٢٤).

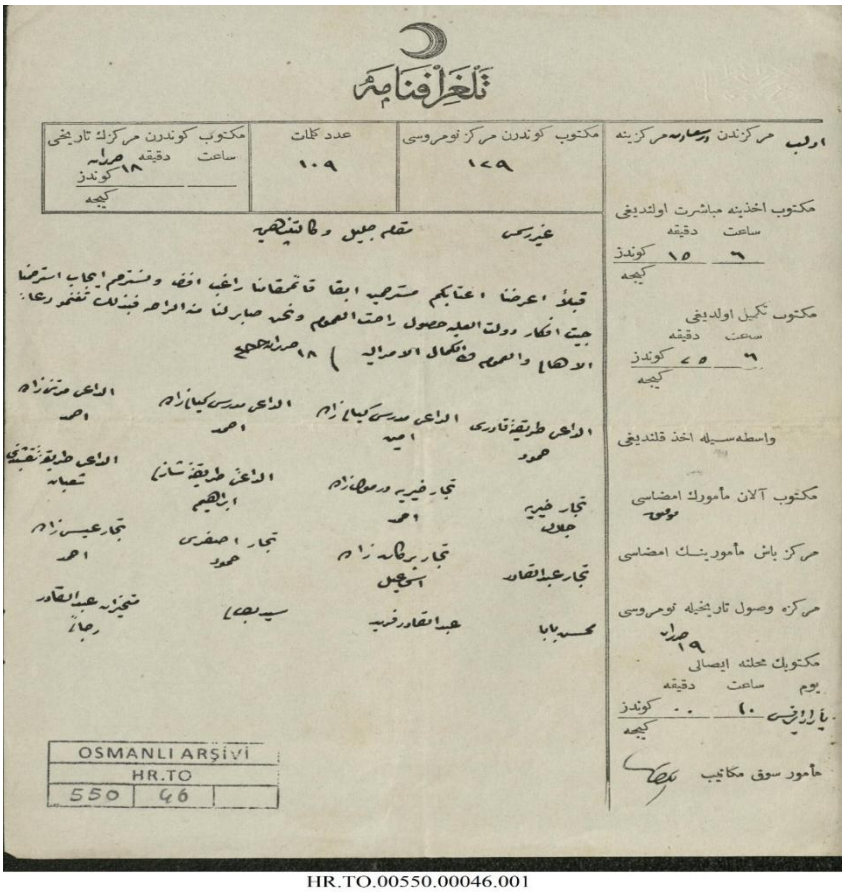

HR.TO.00550.00046.001

الوثيقة رقم ٤٦-٥٥٠ من أرشيف الدولة العثمانية

وبعد موت الشيخ أحمد عبسي تبرع بقطعة أرض تكون وقفاً، حيث جاء في الوثيقة أن الشيخ أحمد عبسي إدريس تبرع بقطعة أرض شمال معرة النعمان (هي اليوم في الحي الشمالي) لتكون "وقفاً عن طيب خاطر وأن يتم استخدامها للجامع أو لأي غرض آخر من أبواب الخدمات وهذه الأرض ستنتقل للأوقاف وبهذا لا يمكن لأي أحد التسلط عليها" (الأرشيف العثماني، ٢٠٢٤).

ولكن بعد فترة من الزمن حصل خلاف على هذه الأرض، وذلك بأن محكمة قضاء معرة النعمان بطريق الجبر والقهر استحوذت على الأرض التي وقفها التاجر أحمد عبسي وأصدر أمراً بإعطائها

لأولاد الشيخ طه، وأعطت المحكمة قراراً لأولاد الشيخ طه بتسليمهم الأرض المذكورة وذلك في العام ١٣٣٠روملي/١٣٣١هـ وذلك وفق وثائق الأرشيف العثماني.

ورفع أولاد وأحفاد التاجر أحمد عبسي خطاب تظلم للصدر الأعظم في استانبول لإصدار قرار بإعادة الأرض لهم. بعد أن قدموا الأوراق الخاصة بذلك إلى محكمة استئناف الولاية، ثم الذهاب للأستانه وتم دفع رسوم الأرض للصدارة العظمى مطالبين بالتعويض عن الأرض التي ضاعت منهم، وأن أولاد الشيخ أحمد عبسي صاروا يائسين من الحال الذي وصلت إليه العدالة في قضاء معرة النعمان، مطالبين الصدر الأعظم بأن يشملهم عدله وإحسانه بإعادة الأرض لهم، وكان كاتب التظلم محمد رشيد متولي أرض الوقف آنذاك (الأرشيف العثماني، ٢٠٢٤).

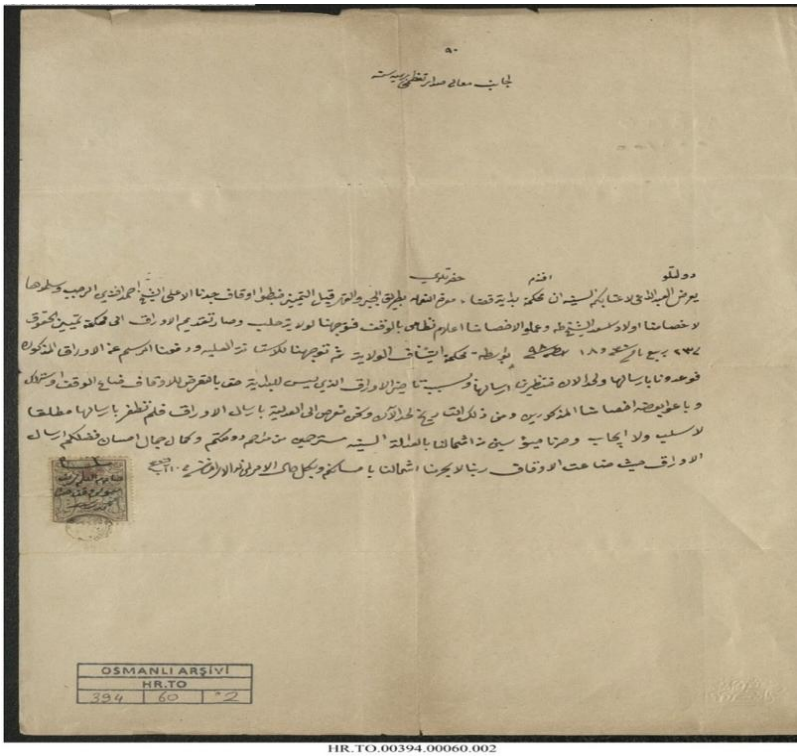

HR.TO.00394.00060.002

الوثيقة رقم٢-٦٠-٣٩٤ من أرشيف الدولة العثمانية

ويتابع الأرشيف العثمان تزويدنا بالوثائق التي تخص آل إدريس ودورهم من خلال الوثيقة التي يطالب فيها سكان قصبة إدلب ومنها معرة النعمان " الرحمة والإعفاء من الضرائب وعدم المطالبة بها وخاصة بعد حالة الفقر التي يعانون منها"، وكان من بين الموقعين على العريضة محمد وأخوه أولاد عبدالرحمن إدريس (الأرشيف العثماني، ٢٠٢٤).

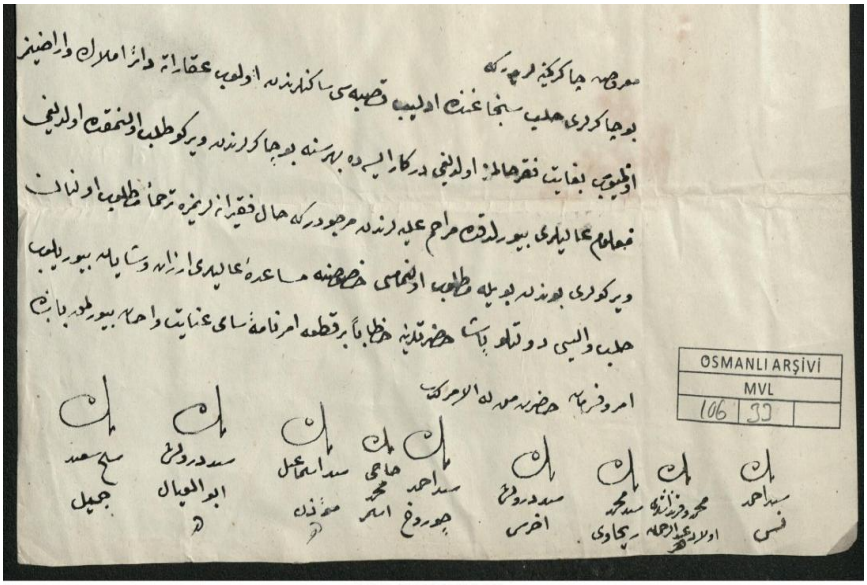

MVL.00106.00033.001

الوثيقة رقم ٣٣-١٠٦ من أرشيف الدولة العثمانية

وكان من أسرة إدريس بعض العلماء والمدرسين الذين عملوا على نشر العلم في معرة النعمان، فيخبرنا العالم المعروف وابن المعرة محمد سليم الجندي في معرض حديثه عن حياته ونشأته وتعليمه أن والده وضعه عند الشيخ (أحمد من بني إدريس المعري)، ويصفه بأنه : "كان شيخاً صالحاً تقياً، حائكاً فرّاء، فعلمني أكثر القرآن الكريم، وكان دكانه على ياسر الطريق الداخل إلى السوق من الشمال، غربي منارة الجامع الكبير، ثم خرج الشيخ إلى بعض القرى لمزاولة أعماله" (الجندي، ١٩٦٣، صفحة ٥/١).

ثورة الحسين بن علي على الدولة العثمانية ١٣٣٤هـ/١٩١٦م:

في العام ١٣٣٤/١٩١٦م، أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية، وذلك عندما أمر الشريف حسين رجالاته بالهجوم على القلعة العسكرية العثمانية المتواجدة في منطقة جرول، وكانت الرصاصة التي أشعلت الثورة هي الرصاصة التي أطلقها الحسين من قصره على قلعة أجياد المتواجد فيها العسكر العثماني، فكانت إعلان الثورة العربية الكبرى، وهي الإشارة المتفق عليها بين الشريف حسين ورجالاته لبدء الهجوم (سعيد ، ١٩٨٨، صفحة ١٤٧/١).

في هذه المدة كان الشيخ عبد القادر إدريس يعيش في مكة المكرمة، وقدم لنا شهادة حية عن تلك الحقبة بقوله: "كانت مكة مليئة بالجيوش العثمانية، وكان العساكر العثمانيون يعيشون في مكة من دون عائلاتهم، ودعم الإنكليز الشريف حسين بن علي ضد الأتراك، واتفق الشريف معهم ضد الألمان والأتراك" وكل ما جاء ذكره يتطابق مع الرواية الشفوية لعبد القادر إدريس (الموسى، ٢٠١٧، صفحة ٧٣).

ويسهب الشيخ عبد القادر إدريس في تقديم شهادته على تلك الحقبة بقوله: "قام الشريف حسين ضد الأتراك وبدأ جنده يقتلوا الأتراك، والأتراك يرموا مكة بالمدافع، وقد وزع الشريف

حسين على أهل مكة البنادق والرصاص من أجل قتال الأتراك" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٨).

وهذا الكلام الذي أورده الشيخ عبد القادر إدريس نجد له تطابق مع الدراسات التاريخية فقد ذكرت الدراسات بأن العمليات العسكرية شملت مدن الحجاز كافة، ودارت المعارك الحربية في عدة مواقع بين الجيش التركي والجيش الحجازي، وبدأت قوات الشريف تستولي على مناطق الحجاز، ويقابل ذلك استسلام القوات العثمانية المتمركزة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وجدة وينبع، وإخلاء مواقعها (العوفي ، ٢٠١٣، صفحة ٣٣).

ومما أثار دهشتي وأنا أستمع للتسجيل الصوتي للشيخ عبدالقادر، هو الحضور القوي لذاكرته وللمعلومات التي كان يرويها وقد بلغ من العمر حوالي (٩٣سنة)، وهو يروي أحداثاً مرّ عليها حوالي (٨٥سنةآنذاك)، ومن الضروري في هذا المجال أن نعرف أن هذا التسجيل هو عبارة عن مذكرات حقيقية تتضمن معلومات وأقوالاً قاطعة لا تلميحات وإشارات، ومن خلال التسجيل الصوتي يفهم أن الشيخ عبدالقادر شارك قوات الأمير فيصل بن الحسين، وكان من ضمن القوات التي كانت معه وتحت قيادته والتي سار بها نحو الشام، وقال الشيخ عبدالقادر أن ذلك الجيش:" كان فيه الآلاف، وهم ليس لهم لباس خاص وإنما كان اللباس التقليدي لكل منطقة (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٩).

كان عدد الجيش الذي تحرك به فيصل وتابع زحفه في العام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م نحو الشمال حسب الدراسات (١٠آلاف مقاتل) معظمهم من البدو، وبينهم (١٢١٠) مجند من العقيلات وهم من الجند التركي الذين جندتهم الدولة العثمانية من أبناء القصيم والتحقوا بقوات الأمير فيصل (الموسى، ٢٠١٧، صفحة ١٠٥).

الرحيل من مكة باتجاه دمشق:

كان فيصل بتطلع بأنظاره إلى سورية، ويعد العدة للانتقال للعقبة، وهنا كان الشيخ عبدالقادر وفق تسجيله الصوتي وشهادته بأنه كان من ضمن الذين كانوا مع جيش فيصل، ويصف لنا قوات فيصل وتحركها فقال: "ذهبت إلى سورية مع الشريف فيصل على الجمال والخيول، ولم يكن مع ذلك الجيش أي سيارة، وتوجهنا إلى معان، والبعض ركب البابور من جدة وينبع إلى العقبة ومن العقبة إلى معان، ومن معان كان الانتقال للقوات بالبابور إلى دمشق، وكنت واحداً من هؤلاء الذين ركبوا البابور" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ١٠). وهنا يقدم لنا أحد الباحثين دليلاً على تلك الأخبار بقوله: "وصلت قوات الأمير فيصل إلى العقبة بتاريخ ٣ أب ١٩١٧م" (الشرفات ، ٢٠٢٠، صفحة ١٤٧).

وتابعت قوات فيصل التقدم نحو دمشق ودخلتها يوم ١ أكتوبر ١٩١٧م، ويقول الشيخ عبد القادر عن تلك المرحلة: "ودخلنا دمشق مع الشريف فيصل وجلسنا فيها، وصار فيصل حاكماً

فيها، وكنا معه نأكل ونشرب ومعنا سلاحنا" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ١٢) ويمكن مطابقة الرواية وصحة ماورد فيها من خلال مطابقتها وما ذكرته إحدى الباحثات (قاسمية، ٢٠١٧).

ولكن الشيخ عبدالقادر لم يسهب في الحديث عن تلك المرحلة بشكل مطول ليكتفي بالقول: "جلسنا في دمشق فترة، وبعدها ذهبنا إلى حلب بالبابور، ونزلنا في قلعة حلب مع القوات العسكرية المرابطة فيها، وكان الفصل شتاءً والجو بارد كتير، وذلك بعد أن بقيت مع قوات فيصل في دمشق شهرين "،كانت سفرة الشيخ عبدالقادر إلى حلب فرصة عظيمة تذكر من خلالها مسقط رأسه وأقاربه، فيقول: "طلبت من الشريف علي الذي كان قائداً علينا إجازة قصيرة أسافر فيها إلى معرة النعمان، وقلت له هنا أجدادي وأعمامي وأريد الذهاب إليهم" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ١٣).

يبدوا أن الحنين قاد الشيخ عبد القادر إدريس إلى زيارة أقاربه في معرة النعمان وخاصة أنها قريبة من حلب، وسافر الشيخ عبدالقادر إدريس إلى المعرة مع الجمَّالة، ووصل المعرة سائلاً عن بيت عمه حسن زوج عمته، وعن عمه كامل وأحمد عبسي، وعندما عرف البيت ذهب إليهم طارقاً الباب ليفتح عمه حسن له الباب ويسأله من يكون، فراق دام قرابة ٢٠ عاماً عن فراق الشيخ لأسرته وأقاربه، وقد وصل إليهم شاباً، لا يعرفونه ولا يعرفون من يكون، وصف الشيخ عبدالقادر ذلك اللقاء بقوله: "فرحت عمتي وزوجها بقدومي جداً، بعدما عرفوا من أكون، وبقيت عندهم وتعرفت على أولادهم؛ وعلى باقي أفراد العائلة" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ١٤).

كان هذا اللقاء بمثابة التعارف الأول بين الشيخ عبد القادر وأسرته لأبيه في معرة النعمان، ودارت الأسئلة حول حياته وعمله في مكة، وعن الحياة في مكة، ودراسته، ليخبرهم أنه تعلم بعض الشيء في مكتب بالقرب من المسعى في الحرم المكي الشريف، وكان الحديث طويلاً عن طبيعة الحياة في مكة وعادات الناس وتقاليدهم هناك، وعن مشاهداته في الطريق من الحجاز إلى دمشق وعن الحياة والأوضاع العامة فيها.

ومن خلال التسجيل الصوتي للشيخ عبد القادر فقد كان لهذا اللقاء أثراً كبيراً طوال حياته، وعدّل الكثير من سلوك وشخصية الشيخ عبد القادر، وذلك عندما قام عمه حسن بقراءة القرآن ورقيته رقية شرعية، ووضع يد الشيخ عبدالقادر على القرآن الكريم وجعله يحلف اليمين على أنه لم يرتكب المحرمات في حياته السابقة، والسبب في ذلك أن عمه وعمته قرروا تزويجه من بنتهم حميدة، وبالفعل عقد قرانه عليها ودخل عليها وتزوجها.

وعند اقتراب انتهاء زيارته للمعرة جاء زوج عمته حسن وأوصاه بوصايا ستة بعد أن وضع يده على القرآن فجملها فيما يلي:

١- الابتعاد عن الزنا وعدم الاقتراب منه طوال حياته، لما له من آثار سلبية وعذاب عند رب العالمين.

٢- الابتعاد عن لعب القمار، لأنه يجعلك تسرق وتقتل وتنهب في سبيل لعبه.

٣- تقوى الله عز وجل، والتقوى تكون بالصلاة والمواظبة عليها، وعدم تركها، والصلاة في الليل والنهار مع قراءة القرآن، ويضيف الشيخ حاله آنذاك" لم أكن أحفظ من القرآن وقتها سوى ثلاثة أجزاء".

٤- الخمر لا أشربه طوال حياتي لأنه يجعلني مجنون وفاقد للسيطرة على نفسي.

٥- من يؤذيك ويشتمك لا ترد عليه.

٦- الأمانة، حافظ على الأمانة لمن يأتمنك ولا تخنه.

هذه الوصايا نرى الشيخ عبد القادر يذكّر بها حفيده الدكتور خالد إدريس أثناء التسجيل ويحضّه على التمسك بها والمحافظة عليها. وكأنها إرث يتوارثه الشيخ من جيل إلى جيل (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ١٨).

عاد الشيخ من حلب مع القوات التي عادت إلى دمشق ليكونوا تحت تصرف الشريف فيصل، وبعد مرور وقت من الزمن بدأت القوات الفرنسية بالنزول على الساحل السوري قرب بيروت، يقول الشيخ عبدالقادر إدريس إن "شهداء من أهل الحجاز سقطوا في المعركة" وعند تتبع الروايات والأخبار حول ذلك وجدنا دراسة حديثة أكدت صحة تلك الرواية التي يمتلكها الشيخ عبدالقادر الأمر الذي يدفعنا إلى الاتجاه نحو الرواية والتاريخ الشفوي، لجمعه وتدوينه والحفاظ عليه، فقد جاء في تلك الدراسة أنه عقب المعركة "قام ابن دغيثر بلم شمل قواته وتهدئتهم وتفقدهم ووجد القتلى (١٣) رجلاً فقط، ذكر منهم: صالح بن جليدان من الرّس، محمد بن عقيل من الرّس، محمد بن رشيد بن بلاع من الرس، مبارك الدغيثر من عنيزة" (العقيل، بدون تاريخ، صفحة ١٥).

كانت فرنسا قد عينت الجنرال هنري غورو قائداً أعلى للجيش ومفوضاً سامياً في سورية ولبنان بتاريخ ١٩١٩/١٠/٥م، وعندما أعلنت الملكية في سورية بقيادة فيصل بن الحسين في يوم ١٩٢٠/٣/٨م قررت فرنسا ألا تسمح للدولة السورية الوليدة بالاستقرار تحت نظام حكمها الجديد، فلم تعترف بملكية فيصل وبدأت تحضر لعملية عسكرية تكفل لها أن تبسط نفوذها بقوة السلاح على الأراضي السورية كافة. وأعطى الجنرال غورو إنذاره الشهير للحكومة السورية (إنذار غورو) بتسليم البلاد وتسريح الجيش وتسليم الإدارة في سورية، هذا الإنذار الذي قوبل بالرفض، وتم أخذ قرار بمواجهة الفرنسيين، تصدى القائد يوسف العظمة وزير الحربية للقيام

بمقاومة الفرنسيين ومحاربتهم على الرغم من أنه اعتمد على بعض الجند النظامي وعدد من المتطوعين الذين بادروا القدوم إلى دمشق للقتال معه ضد الفرنسين، وهنا يقول الشيخ عبد القادر:" وعندما رجعنا إلى دمشق من حلب طُلب منا التوجه إلى الحدود السورية اللبنانية (ميسلون) لتقال الفرنسيين" ويتابع الشيخ عبدالقادر في تقديم شهادته بالقول:" كان هناك قسم كبير من الذين قاتلوا من أهل مكة فقد كانت أعرفهم من وجوههم وخاصة أنهم جاؤوا معه من الحجاز برفقة فيصل"، تقدمت جيوش فرنسا نحو دمشق والتقى الفرنسيون مع جيش يوسف العظمة في منطقة ميسلون، ومنذ منتصف ليل المعركة بدأت أفواج المتطوعين تتدفق إلى المعركة بأسلحة مختلفة وبعضهم بدون عتاد ولم يتجاوز عدد المتطوعة (٨٠٠) متطوع (العبد ، ١٩٧١، صفحة ١٧) (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ١٩).

ومما يؤكد أهمية الرواية الشفوية للشيخ عبدالقادر وصحة ما جاء فيها عثرنا على معلومات تؤكد وتُدَعّم الكلام الذي قاله، فقد جاء في مقالة له نشرتها جريدة الشرق الأوسط حول معركة ميسلون تحدث فيها الكاتب عن مشاركة السعوديين في المعركة حيث قال:" ويذكرنا التاريخ بقصة سعودي شارك في الحرب السورية ضد الاستعمار، وهو ناصر بن علي الدغيثر المتوفى سنة (١٩٨٦م) كأحد الأبطال الشجعان، وكان لهدور بطولي في المعارك العربية الثانية التي دارت رحاها بين السوريين والفرنسيين في العشرينات من القرن العشرين الميلادي، فقد كان قائداً في معركة ميسلون" (الخريف، ٢٠١٤، صفحة ٦).

ومما لفت النظر خلال إعداد هذا الكتاب أن أغفلت المصادر والمراجع والدراسات الحديثة ذكر هذا الدور لأبناء قبائل الجزيرة العربية التي هَبّت للدفاع عن بلاد الشام، ولم تشير أي دراسة إلى ذلك وكان جُلّ تركيزها على قائد المعركة البطل يوسف العظمة وجيشه الحكومي النظامي القليل العدد، غافلين ومتجاهلين دور المتطوعة الذين وصلوا إلى ساحة المعركة للقتال ضد الفرنسيين. وقد ذكر ابن دغيثر بأن عدد الذين كانوا معه من قبيلة العقيلات حوالي (٥٠) هجاناً إضافة لبعض رجاله على الخيل (الخريف، ٢٠١٤، صفحة ٦).

في صبيحة يوم السبت ٢٤ تموز عام ١٩٢٠ جرت معركة ميسلون، ولم تدم إلاّ ساعات قليلة حتى جاء وقت الظهيرة، ليستشهد العظمة بقذيفة مدفع أصابته في رأسه، وسقط حوالي (٤٠٠) قتيل من جيشه، وفرّ القسم الباقي من أرض المعركة بعد الهزيمة المؤكدة والمعروف نتيجتها مسبقاً ولكن كانت محاولة سجل من خلالها السوريين والعرب موقفاً رافضاً للاحتلال الفرنسي (قميرة ، ٢٠١٣، الصفحات ٧٠٤-٧٠٦).

وقد وصف الشيخ عبدالقادر إدريس الهزيمة بقوله: "وكسرونا الفرنسيين، وعملوا فينا

العمايل" وبعد ذلك قرر الشيخ عبدالقادر مع مجموعة مؤلفة من (١٥) شخص ترك القتال والانسحاب ببنادقهم، التي رموها بعد فترة قصيرة، ولاذوا بالبحث عن الحياة بعد الذي حصل في ميسلون، ولكن أين المفر؟ حيث لا أقارب ولا ناس في دمشق، فقرروا العودة إلى مكة وبدأت عمليات الانتقال عبر الجبال حتى وصلوا إلى منطقة جبل العرب فيقول:" وصلنا جبل الدروز نطرق أبواب البيوت نطلب الطعام والشراب" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٠).

ثم تابعت المجموعة المسير لأيام حتى وصلت إلى قرب عكا في فلسطين وهم كلما وصلوا منطقة طرقوا الأبواب طلباً للطعام والشراب والمبيت، وبعد عكا وصلوا إلى حيفا وكانت وسيلة الانتقال كل تلك المسافات سيراً على الأقدام (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢١).

حيفا ومفترق الطرق في حياة الشيخ (تعلم قيادة السيارة):

وبعد أن وصل الشيخ مع رفاقه إلى مدينة حيفا كان الجيش البريطاني يسيطر عليها وكان الوصول إلى حيفا في بداية سنة ١٩٢١م.

في حيفا سيكون للشيخ لقاء مع حدث سيغير مجرى حياته للأبد وسيفتح له الأبواب للدخول إلى عالم آخر من خلال ما حدث معه هناك، فيقول الشيخ عبد القادر:" عقب وصولنا إلى حيفا نزلنا إلى البحر وبدأ كل شخص يبحث عن عمل وكانت نقطة التقاء المجموعة ليلاً عند سكة القطار في حيفا" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٢).

وفي ذات يوم بينما كان الشيخ عبدالقادر يسير على شاطئ البحر رأى ضابطاً انكليزياً برفقة زوجته ومعهم سيارة وكان الوقت قرب العصر، كان الشيخ كما وصف حالته: "جوعان ومتعب"، فطلب من الضابط وزوجته الطعام لكنهم لم يفهموا عليه لأني ما أعرف اللغة الإنكليزية، وأخذت أشّر لهم بيدي إلى فمي بأني أريد أن آكل"، فما كان من الضابط وزوجته:" إلا أن طلبوا منه الركوب معهم في السيارة وأخذوه إلى معسكرهم ونادت زوجة الضابط إلى الخادم وكان من السودان، فسألني عن حاجتي فقات له أريد طعام ومن البارح لم آكل شيء، وأنا لست من فلسطين وإنما من مكة وأريد الذهاب لمكة، وعندما أخبر الخادم السوداني الضابط بحاجتي وبقصتي دمعت عيون زوجة الضابط وكادت أن تبكي، وطلبت لي الطعام، وجيء لي بصحن كبير فيه اللحم والبيض المقلي والخبز والماء، فأكلت حتى شبعت، وبعد ذلك جلبوا لي الشاي مع الحليب" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٣).

وطلبت زوجة الضابط من الخادم أن يسألني:" إذا كنت أقبل البقاء معهم والعمل عندهم، وعندما سألت عن طبيعة الشغل قالوا: نحن نذهب لعملنا في المعسكر وأنت تهتم بالخيمة وبنظافتها ونعطيك في الشهر (٢) جنيه، فوافقت وتم عملي معهم الذي استمر قرابة سنة كاملة،

وأوصوني بأن أكون نظيفاً وأميناً في العمل"، وبالفعال بدأ الشيخ عبد القادر رحلة جديدة من حياته من خلال العمل مع الضابط الإنكليزي، "وجلبوا لي اسفنجة كي أنام عليها، ولم أعد أرى المجموعة التي كانت معي في حيفا وكلهم كانوا من الحجاز" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٢).

ويصف الشيخ الضابط الإنكليزي وزوجته فيقول: "كان الضابط وزوجته في عمر حوالي (٤٥) سنة وكنت أرافقهم في كل مكان يذهبون إليه وعاملوني معاملة طيبة وكأنني واحد من أولادهم"، وذات يوم انكسرت يد الشيخ عبد القادر في السيارة وبقي حوالي شهر في الجبس، وقرر الضابط وزوجته نقل الشيخ للبقاء معهم والعمل في منزلهم، "واهتموا بي كثيراً وخاصة لما علموا أنني حاربت ضد الفرنسيين في ميسلون" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٣).

وكان مفترق الطرق في حياة الشيخ عبد القادر إدريس من خلال تعلمه لقيادة السيارة لأول مرة في حياته فيقول عن ذلك:" وذات يوم طلبت زوجة الضابط مني أن تعلمني قيادة السيارة فوافقت وبدأت أتعلم القيادة حتى أصبحت ماهراً في قيادة السيارة" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٣).

استمر عمل الشيخ مع الإنكليز لمدة سنة، وبعدها جاء نقل الضابط وزوجته إلى مالطا، وطلبوا من الشيخ أن يسافر معهم، لكنه رفض وطلب منهم العودة إلى مكة، وأعطوه راتب سنة كاملة والمفترض أن يكون (٢٤) جنيه لكن الشيخ تفاجأ بأنهم أعطوه (١٠٠) جنيهاً بدلاً من (٢٤) جنيهاً، وبذلك تنتهي فترة عمل الشيخ عبد القادر مع الضابط وزوجته وبقاءه في حيفا وقرر العودة إلى مكة واشتروا للشيخ بعض الحاجات والملابس ليأخذها معه. وودعهم الشيخ وسافر باتجاه مكة وقد استفاد خلال هذه السنة من تعلم بعض الكلمات الإنكليزية والأهم من ذلك تعلم قيادة السيارة التي ستفتح للشيخ آفاقاً جديدة عند عودته لمكة المكرمة (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٤).

العودة إلى مكة المكرمة:

ترك الشيخ عبد القادر مدينة حيفا وقد حظي خلال إقامته فيها بتعلم قيادة السيارة، وانتقل من حيفا إلى عمان ومنها إلى القدس بواسطة سيارة عسكرية، ومن ثم صلى بالقدس وأقام فيها وقت قصير وغادرها نحو معان (بالبابور) حسب قوله، ومن ثم عبر الجمال وصل إلى العقبة، وكانت العقبة هي نقطة الانطلاق (بالبوت وهي سفينة صغيرة تعمل بالتجديف والأشرعة)، ومنها وصل إلى ينبع الساحلية. في ذلك الوقت "كانت العقبة والحجاز تحت حكم الشريف حسين، وينبع تحت حكم الشريف علي بن الحسين، وكانت قواته تتحرك فيها بواسطة الجمال والخيول"، وكانت هناك قافلة تتوجه نحو المدينة المنورة، فأراد الشيخ عبد القادر الركوب معها،

ويقول الشيخ: "ورحت لهم وهنا عرفني شخص وقال لي كأنني شفتك في مكة، وهو يعرف عمي محمد سعيد، وسألني وين رايح، وحكيت له قصتي التي استمرت أكثر من سنتين، والرجل هو من أهل مكة من الشامية" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٤).

ويتابع الشيخ عبد القادر حديثه وذكرياته عن تلك الرحلة فقال:" تحركت القافلة بالتوجه نحو المدينة المنورة، ووصلنا بعد مدة إلى المدينة المنورة وبقي الشيخ فيها نحو (١٠) أيام، وتم إسكان الشيخ في أحد الفنادق التي نزلت بها قوات الشريف علي، وفي ذات مرة كان الشيخ عبد القادر متوجهاً نحو الحرم المدني لأداء الصلاة شاهد عمه محمد سعيد الذي كان يقيم في مكة ونادى الشيخ عليه: عمي –عمي عمي. فنظر إليّ بوجس عابس وغاضب، وتنكر لي وقال لي مين عمك؟،مالي ولد عم زيك، متبهدل، وثيابك كدة متوسخة؟" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥).

يبدو أن العم سعيد كان غاضباً من عبد القادر لذهابه وانقطاع أخباره دون معرفة عمه بمكان ذهابه. يقول الشيخ عبد القادر: "حكيت لعمي محمد سعيد ما حدث معي، ورجعت معه إلى مكة، وجلست معه في بيته" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٦).

خلال إقامة الشيخ عبد القادر بعد عودته نحو مكة المكرمة وصلت سيارة إلى الشريف حسين وأعطاها لولده الشريف علي، ووفق الروايات التاريخية فإن السيارات في مكة المكرمة كانت غير موجودة آنذاك، وقد دخلت أول سيارة إلى مكة المكرمة في سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م. وقد أهداها التاجر الهندي (الكندواني) للشريف حسين بن علي، وكان الشريف لا يستخدمها إلاّ نادراً، والسبب في ذلك أن طرق الحجاز لم تكن معبدة ومهيأة، وكان الشريف يفضل ركوب الخيل (شودري، ٢٠٢٠، صفحة ٣٥).

ونتيجة لهذا الوضع أصبح السائق مهماً ونادر الوجود في المجتمع المكي (الزهراني و غباشي، ١٩٩٨، الصفحات ٦٥-٦٦) (فارسي، ١٩٨٢، الصفحات ٤٠-٤١). ولكننا نجزم وبشكل قطعي ومؤكد أن السيارات كانت موجودة في مكة المكرمة وجدة قبل العام ١٩٢١/١٤٣٠م، ودليلنا على ذلك ما أورده أمين الريحاني في كتابه حين قال: "في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط ١٩٢١م/٨ رجب سنة ١٣٤٠هـ، وطئت لأول مرة أرضاً في شبه الجزيرة العربية وقابلت ملكاً ما عرف العرب غيره من الملوك، ثم يتابع كلامه عن لقاءه بالحسين بن علي فيذكر ذلك اللقاء بقوله:" ثم سمعنا صوت السيارة في الشارع فسارعنا إلى باب القصر ننتظر قدوم جلالته، وكان قد اجتمع هناك نفر من أعيان جدة وعلمائها، وقفت أمام الباب سيارة فخمة فخرج مها ناظر الخارجية، ثم ناظر المالية، ثم الأمير زيد، ثم الملك

حسين" (الريحاني، ملون العرب رحلة في البلاد العربية، ١٩٨٧، الصفحات ٢٥-٢٦).

وخلال عملية البحث في الأرشيف العثماني توصلنا إلى أن شريف مكة استورد سيارة من حلب وقد قامت شركة سكة حديد بغداد بالمطالبة بأجور نقل السيارة، الوثيقة رقم ١-٢٦-١٧ من سجلات الأرشيف العثماني (الأرشيف العثماني، ٢٠٢٤).

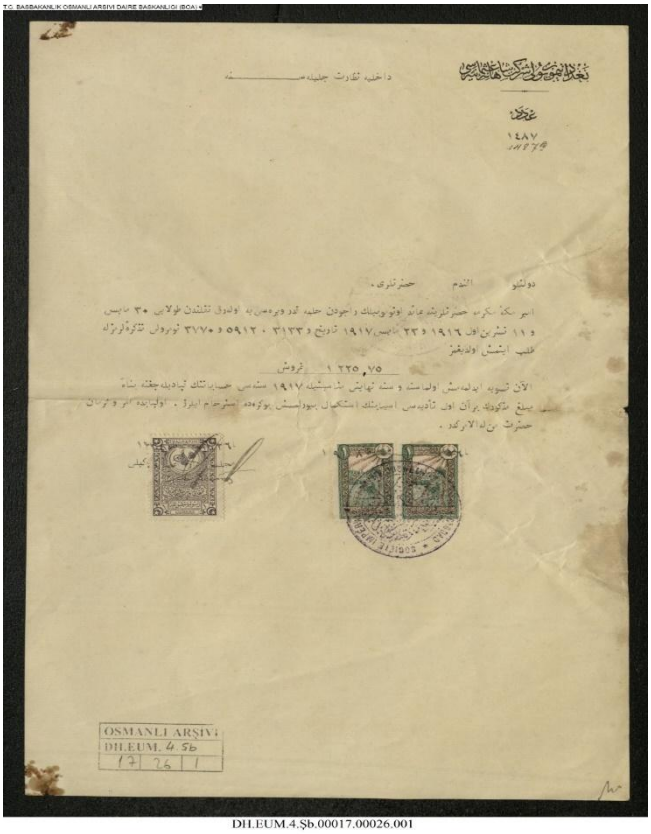

الوثيقة رقم ١-٢٦-١٧ من سجلات الأرشيف العثماني

وأيضاً هناك وثيقة تحمل الرقم ٢-١٥-١٥٤من سجلات الأرشيف العثماني تؤكد وجود سيارات لنقل البريد بين مكة وجدة ونقل بريد الولاية بشكل آمن وأن تكلفة هذه السيارة تعادل نفقات النقل البري (الأرشيف العثماني، ٢٠٢٤).

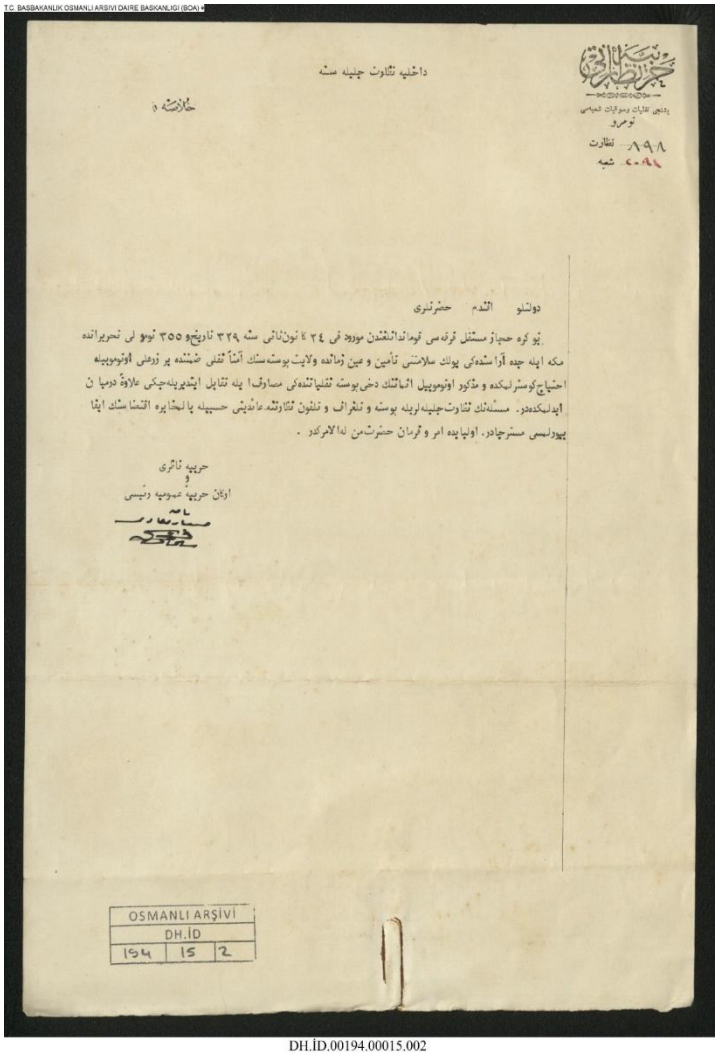

DH.İD.00194.00015.002

الوثيقة رقم ٢-١٥-١٥٤من سجلات الأرشيف العثماني

وكذلك وجدنا وثيقة تحمل الرقم ٣-٢-٢٨٢ تؤكد أنه لضمان سرعة نقل البريد بين جدة ومكة والطائف يلزم وجود سيارتين وبشكل سريع. وهذه الوثائق مؤرخة في الأعوام ١٩١٦-١٩١٧ (الأرشيف العثماني، ٢٠٢٤).

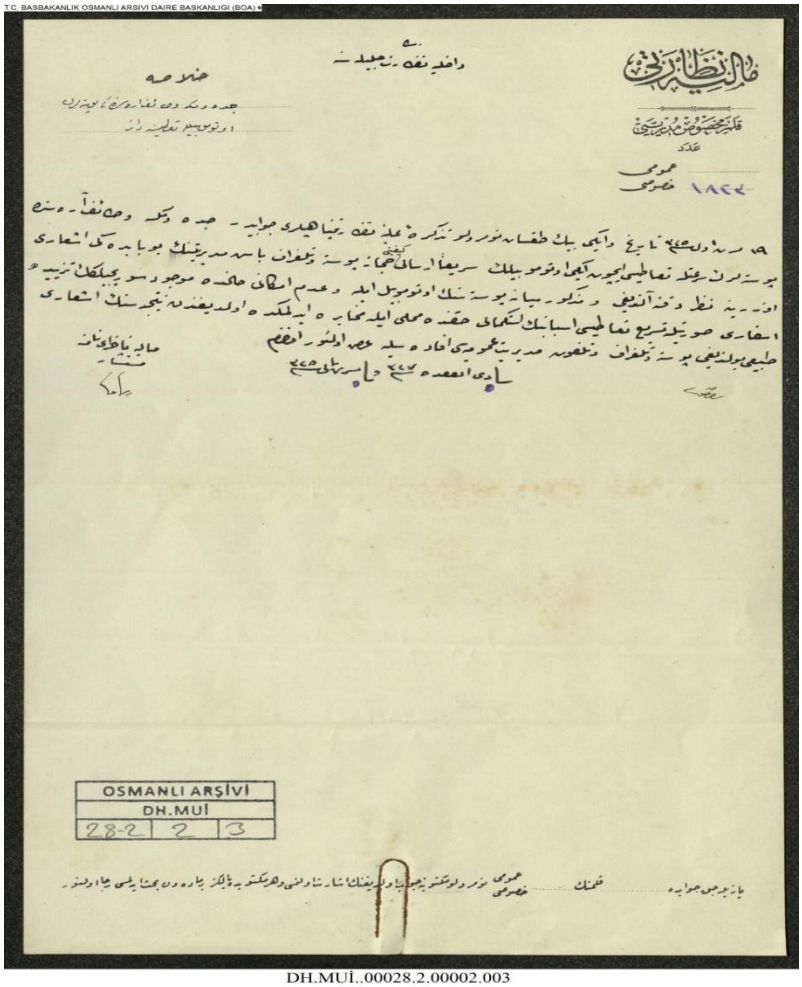

الوثيقة رقم ٣-٢-٢٨٢ من سجلات الأرشيف العثماني

وبذلك نقدم معلومة تصحيحية للمعلومات التي كانت تؤكد أن سنة ١٩٢١ هي أول مرة تدخل سيارة للحجاز ومنها مكة المكرمة. وأن الحجاز عرف دخول السيارات، ولاسيما في مجال الخدمة البريدية أو الخاصة للشريف حسين.

عبد القادر إدريس والعمل لدى الأشراف في مكة وجدة:

يحدثنا الشيخ عبد القادر عن وصول سيارة إلى ميناء جدة للشريف حسين بقوله: "كانت أول سيارة تدخل للشريف وقالوا من يعرف يسوق سيارة؟ فقلت: أنا أعرف أسوق، وذهبت واستلمت السيارة وكنت أقودها بالشريف حسين من مكة وفي جدة" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٤).

ويوم استطاع الملك عبد العزيز السيطرة على مكة، ذهب الشريف حسين باتجاه جدة، وكان الشيخ عبد القادر هو الذي يقود السيارة التي ركبها الشريف حسين، وبعد سفره إلى قبرص استمر عمل الشيخ عبد القادر مع الشريف علي بن الحسين، وكان يقود سيارته ويوصل أسرته

في مشاويرها داخل جدة. وكذلك الحال يورد الشيخ عبد القادر شهادة على تلك الحقبة التاريخية من حكم الشريف حسين بن علي للحجاز فقال: "كنت أقود السيارة بالشريف حسين، وسُقت السيارة به من مكة إلى جدة وكان عمري ست وعشرون سنة" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٤).

ومن خلال عملية رياضية بسيطة لمعرفة التاريخ الذي كان يقصده الشيخ نجد أن التاريخ الذي ذكره الشيخ عبدالقادر هو سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، ولكن من خلال عملية الرصد والتتبع والبحث عن تلك الرواية وقفنا على مصدر مهم عن تلك الحقبة التاريخية، فقد جاء في كتاب (ماضي الحجاز وحاضره) أن الحسين: "توجه من مكة صباح يوم الاثنين ٩ جمادي الأولى سنة ١٣٤٢/١٩٢٣، فوصل جدة على السيارة في اليوم نفسه"، وهذه إشارة مهمة على وجود السيارة لدى الشريف حسين، ولعله دليل قوي على ما قاله الشيخ عبدالقادر وتحديده للزمن مما يؤكد صحة روايته وصدق شهادته وأهميتها على تلك الحقبة التاريخية من تاريخ الحجاز، وكونه السائق الخاص للشريف حسين في رحلته من مكة إلى جدة (نصيف، ١٣٤٣هـ، صفحة ٣٦).

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن الشريف حسين بن علي كان يمتلك اثنتا عشر سيارة، وحسب المصادر فإنها كل ما كان في الحجاز في وقته من السيارات، ولعل السبب هو أنه لم يكن يسمح لأحد غيره باقتنائها، ويكون هو الشخص الوحيد المتفرد والمتميز بركوبها دون غيره (نصر ، بدون تاريخ ، صفحة ١٨٩)، والسبب الثاني أنه الشريف حسين منع استيراد السيارات لأنه كان يعدّها تهدد اقتصاد البلاد، وتذهب ثروة البلاد إلى الخارج لكون صناعة السيارات أجنبية، وتتطلب العملة لاستيرادها وهو مالم يكن يسمح به الشريف، وكذلك يتطلب الأمر الأموال اللازمة لتشغيلها وقطع الصيانة، ولا بد من الإشارة إلى أمر غاية في الأهمية ألا وهو أن الهودج والجمال كانت هي وسيلة النقل في ذلك الوقت، وفي استخدام السيارات قضاء على هذه الصناعة أو منافستها (الغامدي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥٨).

ويفيدنا التسجيل الصوتي للشيخ عبد القادر إدريس بأنه هو من استلم السيارة التي وصلت إلى ميناء جدة للشريف الحسين بن علي (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٥).

خالد لؤي والطائف:

في يوم الأول من صفر ١٣٤٣هـ/سبتمبر ١٩٢٤م، وصل الشريف خالد بن لؤي قرية الحوية بصحبة سلطان بن بجاد الملقب بسلطان الدين، وكان الأمير خالد بن لؤي هو أمير الخرمة والجيش الذي زحفا به نحو الطائف مؤلف من ألوية (الغطغط) والخرمة وتربة ورنية وعتيبة وقحطان وبني تميم وانضم إليه فيما بعد عربان الحجاز وأشرافه من الحرَّث وبني ثقيف

لمهاجمة الطائف بعد الخلاف مع الشريف حسين (الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ٢٠١٧)، وعن هذه الحادثة قال الشيخ عبدالقادر إدريس المعاصر للحدث والشاهد العيان عليه: "حاصر خالد بن لوي –ومعهم الغطغط– الطايف وانتصروا على قوات الشريف" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٦).

ويفيدنا الريحاني أن قوات الأمير خالد بن لؤي حققت نصراً على قوات الشريف حسين التي كان يتزعمها اللواء صبري باشا وانهزمت قواته وهربت باتجاه الطائف والتي عجز الشريف حسين عن إرسال المساعدات التي طلبتها من ابنه علي في مكة والتي وصلت عن طريق السيل بعد سقوط الطائف التي دخلها خالد بن لؤي وسلطان الدين مما مَهّد الطريق نحو مكة (الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ٢٠١٧، صفحة ٢١١).

وفي شهادته على تلك الحقبة التاريخية الفاصلة في تاريخ الحجاز عقب سقوط الطائف بيد القوات الموالية للملك عبدالعزيز بقيادة الشريف خالد بن لؤي ذكر الشيخ عبد القادر إدريس أن الشريف علي بن الحسين: "نزل إلى أهل مكة ومن ثم تابع إلى جدة ويقول: ابن سعود ومعه جيش كبير، ومعهم رشاشات وبنادق دخلوا مكة، وأخاف يدخل لجدة ويُقتل الناس، وأنا سأغادر جدة" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٧).

حول هذه الشهادة التي قدمها الشيخ عبدالقادر إدريس أمدتنا الدراسات والمراجع التاريخية بمعلومات متطابقة ولكن بشيء من التفصيل الدقيق، حيث تفيدنا إحدى الوثائق بأنه في يوم ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣هـ/١٥ أكتوبر ١٩٢٤ بدأت طلائع قوات الإخوان التابعة للملك عبدالعزيز تدخل إلى مكة (الدارة ، ١٩٢٤، صفحة الوثيقة ٩٧٠)، وصعد أحدهم المنبر ونادى بالأمان لجميع أهالي مكة المكرمة، ثم تلى ذلك دخول قوات خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد، حيث دخلوا مكة المكرمة منكسين أسلحتهم وطافوا بالبيت العتيق، وكان معهم عبدالقادر الشيبي وإسماعيل الدهلوي، وقرأ الشيخ عبدالقادر الشيبي منشور الملك عبدالعزيز لأهالي مكة المكرمة وأشرافها ومجاوريها، وأن دخول مكة ليس الهدف منه التسلط عليها وأن أموال الناس ودماءهم محرمة ومعصومة، وكان ذلك في ٢٢ صفر سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م (الغازي، من دون تاريخ، صفحة ٦٤/٤) ، ومن ثم وصل الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه إلى مكة ودخلها محرماً في ٧ جمادي الأولى ١٣٤٣هـ / ٤ديسمبر ١٩٢٤، وكان أعيان جدة قد اجتمعوا سابقاً من تجار وعلماء وأشراف، وأجمعوا على أن الشريف الحسين بن علي وسياسته هي السبب في كل ما حدث في الحجاز، ويجب أن يتنازل عن العرش، وقرروا بالإجماع عزله، ووقّع (١٤٠) شخص من أعيان الحجاز عريضة طالبوا فيها الحسين التنازل عن العرش، وتعيين ابنه علي بدلاً منه (الغازي، من دون تاريخ، صفحة ٦٥/٤)، وذلك في ربيع أول ١٣١٣هـ/٣أكتوبر ١٩٢٤م.

عبد القادر إدريس ودوره في نقل وفد المفاوضات مع الملك عبد العزيز في حصار جدة:

عند اشتداد الحصار على جدة من قبل قوات الملك عبدالعزيز قَرَّر الشريف علي بن الحسين تسليم جدة ومغادرتها بعد توقيع اتفاق التسليم مع الملك عبدالعزيز والرحيل عن الحجاز بشكل نهائي، وذلك يوم الخميس ١ جمادي الآخرة ١٣٤٤هـ/١٧ ديسمبر١٩٢٥م، ولكن المصادر التاريخية لم تورد قصة الوفد الذي أرسله الشريف علي للملك عبدالعزيز من أجل التسليم، وهذا ما أخبرنا به الشيخ عبدالقادر إدريس واحتفظت به ذاكرته ورواه في تسجيله الصوتي حيث قال الشريف علي: "من الذي سيقود السيارة التي ستنقل الوفد الذي سيذهب لمقابلة ابن سعود، فقالوا: هناك عبدالقادر إدريس، وطلب مني الشريف علي أن أسوق السيارة وأوصل الوفد لعند مخيم الملك عبدالعزيز، وركب معي في السيارة (محمد نصيف وسليمان قابل وعبدالله زينل وحسين العويني وهو لبناني وكان وكيل لتاجر من سورية في جدة)، وركبنا في الظهر، وخرجنا بالسيارة الوحيدة التي كانت معي، وطلعنا في جبل تحت كيلو عشرة، وكان هناك مخيم الملك عبدالعزيز، وصلنا الملك عبدالعزيز، ونزلنا إلى خيمته، وقدم لنا الغذاء، وتكلم عبد الله زينل ومحمد نصيف وقالوا له: الشريف سافر وقال لنا سلموا البلد لعبدالعزيز والبلد بلدكم، وقال الملك عبدالعزيز: صبّح الوم ولا تمسيهم، أهلاً وسهلاً بكم" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٨).

ولدى تتبع المصادر للوقوف على صحة هذه الرواية وجدنا أن كثيراً من المصادر أغفلت هذه القصة وأن كل ما تحدثت عنه هو الوفود الرسمية والدولية واتفاقية التسليم، ولكن علمية البحث عن رواية الشيخ عبد القادر إدريس وصحتها أوصلتنا إلى ما نشرته جريدة أم القرى في العدد رقم (٥٢) الصادر بتاريخ ١١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ/٢٧ ديسمبر ١٩٢٥م في صفحتها الثالثة حيث جاء فيها تحت عنوان(التسليم): "وانقضى ذلك النهار باستقبال الوفود التي قدمت من جدة لتهنئة عظمة السلطان بما تم الله على يديه، ولقد كان في جملتهم الأشراف والعلماء والأعيان وفيهم الأستاذ الفاضل الشيخ محمد نصيف والشيخ قاسم زينل وعبدالله زينل (أم القرى ، ١٩٢٥، صفحة ٥).

أما فيما يخص التاجر حسين العويني الذي ذكره الشيخ عبد القادر إدريس في تسجيله الصوتي فقد وصفه الريحاني في كتابه وهو يُعَّرف عنه للملك عبد العزيز بقوله: "إن لصديقي حسين العويني التاجر السوري في جدة علاقات تجارية في مكة المكرمة، وهو يحضر للتجارة وللزيارة، فيتشرف بمقابلتكم إذا أذنتم، ويحمل إلى عظمتكم بعض خبري، إني أثق بحسين أفندي كل الثقة، وفي اليسير الذي سينوب عني به ما يغني عن البيان، فإذا أذنتم بقدومه مُروا من يلاقيه إلى منتصف الطريق ويصحبه محافظاً إلى مقامكم العالي" (الريحاني، تاريخ نجد

وملحقاته، ٢٠١٧، صفحة ٣٥٨).

ومن ذلك نفهم الدور الذي لعبه حسين العويني في المفاوضات بين الملك عبد العزيز والشريف علي بن الحسين والسبب في وجوده في الوفد الذي التقى مع الملك عبد العزيز والذي نقله الشيخ عبد القادر إدريس بالسيارة إلى مخيم الملك عبد العزيز، مما يعطي أهمية تاريخية جديدة تضاف للمكتبة التاريخية الخاصة بالحجاز خلال تلك الحقبة.

دخول الشيخ عبد القادر إدريس في خدمة الدولة السعودية:

لقد كانت لخبرة الشيخ عبد القادر إدريس ومهارته في قيادة السيارة الدور الأول في دخوله في خدمة الدولة السعودية، كما كان لها دور في عمله مع الأشراف من قبل، وهنا قد يتساءل سائل كيف تَقَبّل الملك عبد العزيز أن يدخل في خدمته رجالاً كانوا يعملون مع خصومه الأشراف من قبل؟

في الحقيقة إن الإجابة على هذا السؤال نجدها من خلال استقطاب الملك عبد العزيز لتلك الفئات من الرجال واحتوائها والاستفادة من خبراتها، وهذا النهج مَيّز إدارته الجديدة في الحجاز بنوع من المرونة والتأثير الإيجابي، الأمر الذي جعل تلك الخبرات تبذل الجهد والعطاء بإخلاص ووفاء لحسن التكريم الذي وجدته من الملك عبد العزيز على خلاف ما كانت تتوقعه، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال: الشيخ سليمان قابل، الشيخ محمود شلهوب وعبد الله زينل والشريف شرف عدنان، وصالح عطا، وغيرهم الكثير (العتيبي، ١٩٩٨، صفحة ٧٨).

وعن دخول الشيخ عبدالقادر إدريس في خدمة الملك عبدالعزيز فقد بدأت مع نقل وفد جدة الذي تحدثنا عنه سابقاً، حيث أن الوفد بعد وصوله إلى معسكر الملك عبدالعزيز وانتهاء اللقاء معه، "كان في معسكر الملك عبدالعزيز دكتور سوري يدعى محمود حمدي حمودة وهو طبيب سوري" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٩)، التحق بخدمة الملك عبدالعزيز في نجد قبل تحركه للحجاز، ومن ثم أصبح وزيراً للصحة العامة في المملكة العربية السعودية أثر صدور قرار ملكي في شعبان ١٣٤٤هـ/مارس ١٩٢٦م (السلمي ، ٢٠١٤، الصفحات ٣٦٦-٣٦٧).

وحسب شهادة الشيخ عبد القادر إدريس قال: "جاء دكتور اسمه محمود حمودة، قادم معهم من الرياض وقال للملك عبد العزيز عندهم في جدة دكتور للعيون اسمه خيري قباني ونريده أن يأتي بقطرة لعيون الأمير سعود، قال الملك عبدالعزيز: ما معكم سَوّاق، قالوا: نعم معنا عبدالقادر، فقال لي الملك عبدالعزيز: شوف ياوليدي حط الربع وتدور على الدكتور خيري القباني دواء للعيون لسعود وترجع يا وليدي" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٩).

كانت هذه الحادثة هي السبب وراء دخول الشيخ عبد القادر في خدمة الملك عبد العزيز

وأسرته لأنه سيعمل معهم بعد هذه الحادثة. وقد انفرد الشيخ عبد القادر بهذه الرواية التاريخية وسجلتها ذاكرته كونه كان أحد أفراد الحادثة ومن هنا تكمن أهمية شهادته على تلك المرحلة الهامة من تاريخ المملكة العربية السعودية.

ثم يتابع الشيخ عبدالقادر تلك القصة فقال: "ورجعنا جدة، ودورت على خيري القباني، ووجدته، وأخذته إلى مخيم الملك عبدالعزيز، ونزلنا من السيارة، ومشينا حوالي(٢٠٠متر) إلى أن وصلنا للمخيم أنا والدكتور فقط، وكان عند الملك عبدالعزيز عبدالله السليمان وزير المالية، وصلينا المغرب، وكان الملك عبدالعزيز هو الإمام في الصلاة، ومن ثم تعشينا، وبعد أن خلصنا من العلاج قال الملك عبدالعزيز: ناموا عندنا، وفي الصباح ركب الملك عبدالعزيز وسعود وفيصل في سيارة مع صديق الهندي، وركب في سيارتي الأمير خالد، والأمير فهد بن سعد وسعود بن سعد عيال أخ الملك عبدالعزيز، ودخلنا إلى جدة، ونزل الملك عبد العزيز في بيت محمد نصيف وهو من أكبر بيوت جدة" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٢٩).

ويصف الشيخ عبد القادر إدريس الليلة الأولى للملك عبد العزيز في منزل محمد نصيف فقال: "دخل بيت محمد نصيف وفي الليل وضعوا له سرير، فرفض النوم عليه ونام على الأرض، ونزلنا نحن في عمارة مجاورة لبيت نصيف لنكون في خدمة الملك عبدالعزيز"، ومن ثم يتابع الشيخ عبدالقادر عمله مع أسرة الملك عبدالعزيز فقال: "وأنا أصبحت مع الأمير خالد بن عبدالعزيز وأولاد عمه، وأنا أطالعهم بالسيارة في جدة وشوارعها، وأذهب بهم للبحر" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٣٠).

ومن بعد ذلك أصبح الشيخ عبد القادر إدريس ملازماً لأفراد أسرة الملك عبد العزيز حسب كلامه، وينقلهم بالسيارة، حيث أنه قاد السيارة، التي ركب فيها نفس الأفراد الذين كانوا قد ركبوا معه سابقاً باتجاه مكة عند ذهاب الملك عبدالعزيز إليها" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٣١).

ثم يتابع قوله. "وجاء بابور حربي وذهب الأمير فيصل بن عبد العزيز إلى لندن ولم أراه". ويحدثنا الشيخ عبد القادر عقب ذلك عن عودة المرض لعيون الأمير سعود فقال: "كان في دكتور في مصر طبيب عيون وأرسلوا الأمير سعود إلى مصر للعلاج وعاد من مصر والملك أحمد فؤاد قدم سيارة هدية للأمير سعود نوعها داتسون" (إدريس، ٢٠٠٠، صفحة ٣١).

وحول هذه القصة فقد أخبرتنا المصادر التاريخية بقصة مرض الأمير سعود وسفره إلى مصر فقد ذكرت أن الأمير سعود بن عبدالعزيز كان يشكو من رمد في عينيه، ولعلها هي نفسها التي عانى منها سابقاً وتحدث عنها الشيخ عبدالقادر عند دخول جدة واستمر تأثيرها فيما بعد، فأراد الملك عبدالعزيز علاجه، فتمت دعوة الطبيب المصري سالم بك الهنداوي الذي

كان قد أجرى عملية سابقاً للملك عبدالعزيز، وبالفعل اتصل مستشار الملك آنذاك الشيخ حافظ وهبه بالحكومة المصرية لطلب سفر الدكتور سالم الهنداوي إلى المملكة، ولكنه اعتذر عن السفر لأن درجة الحرارة في مكة كانت مرتفعة للغاية، ولا تساعد على إجراء العملية، وعندما تعذّر قدوم الطبيب الهنداوي رأت الحكومة المصرية توجيه الدعوة للأمير سعود لزيارة مصر، وفي البدء كان الملك عبدالعزيز متحفظاً على قيام الأمير بزيارة مصر، خصوصاً بعد حادثة المحمل المصري التي حدثت في موسم حج عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، ولكن بعد توجيه الدعوة الرسمية وافق الملك عبدالعزيز شاكراً ، كما أنه رآها فرصة لتعزيز العلاقات مع مصر (مجموعة مؤلفين ، الملك سعود بن عبد العزيز، صفحة ٦).

وبتاريخ ٩ أغسطس ١٩٢٦ وصل الأمير سعود إلى السويس واستقبله المصريون بحفاوة لا نظير لها، وكان في استقباله مندوبون من الحكومة المصرية، وجمع غفير من أعيان البلد، كما نزل في ضيافة الحكومة في منزل أعدّ له خصيصاً ومكث في مصر لمدة شهر ونصف أجرى خلالها، عمليتين في عينيه، الأولى بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٢٦م، والثانية في ٢٨ أغسطس ١٩٢٦م. وكان من ضمن الوفد الذي سافر مع الأمير سعود آنذاك حفاظ وهبه، ناصر التركي والشيخ عبدالله إبراهيم الفضل، والشيخ الهزازي، وكانت هذه السفرة فرصة لالتقاء الأمير سعود بسعد زغلول باشا (وهبة ، ٢٠٠١، الصفحات ١٤٧-١٥٣).

الخاتمة

في نهاية المطاف وجدنا أهمية الرواية الشفوية كمصدر ومرجع تاريخي لا يقل أهمية عن باقي المصادر التاريخية، وخاصة أن صاحب الرواية الشفوية كان شخص مساهم في صناعة الأحداث مما يعطي لروايته أهمية خاصة، ولو أن صاحب الرواية نشر روايته قبل وفاته لكانت موجودة بين طيات الكتب والدراسات التاريخية.

ووجدنا أهمية الرواية الشفوية كمصدر من المصادر المهمة في تدوين تاريخ الحجاز، ذلك أن رواة تلك الروايات كانوا مشاركين في الحدث التاريخي، وهو ما يطل عليه علمياً اسم الشاهد الحي على حقائق ذلك الحدث، والمطلعين والمراقبين عن قرب لعوامل وقوعه، إلا أن هذه الأهمية لا تعني التسليم بجميع ما يرد في تلك الروايات، فالرواية الشفوية تتأثر بأهواء الراوي وميوله.

لذلك نرى أن إخضاع الرواية الشفوية للنقد الباطني والظاهري لمحتواها، والذي يُمكن من خلاله كشف حقائق الحوادث التاريخية من زيفها وتدليسها، وذلك من خلال إخضاع الرواية الشفوية لأمرين، الأول نقد الرواية كونها حدث تاريخي من جهة، ومن جهة أخرى بنقد الراوي الذي يروي مجريات هذا الحدث، وهذا ما يوصلنا إلى حقيقة الحدث التاريخي بدرجة أفضل، ويمكننا على إثرها الاعتماد على هذه الرواية في كتابة موضوعية لتدوين تاريخ الحجاز، وهذا ما لمسناه في رواية عبد القادر إدريس ومواكبته للأحداث التي ذكرها في روايته ووصفه لكل حادثة بدقة متناهية، خاصة أنه امتلك ذاكرة قوية وثّقت الأسماء والمواقع بدقة، مما يعطي لروايته الأهمية الخاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

إدريس، عبد القادر. (٢٠٠٠). ذكريات عبد القادر إدريس . (خالد إدريس، المحاور) جدة.

إدريس، محمد خالد. (٢٠٢٥). وثائق عبد القادر ادريس. جدة- المملكة العربية السعودية.

إدريس، هيثم. (٢٠٢٤). مقابلة مع الاستاذ هيثم إدريس. (حسام الدين الحزوري، المحاور)

الأرشيف العثماني. (٢٠٢٤). اسطنبول: الأرشيف العثماني.

الأرشيف العثماني. (بلا تاريخ). وثيقة تاريخية. اسطنبول، تركيا.

الأرشيف العسكري. (١٩١٨). وثيقة رقم ١٠٦٠٩١. العسكري. انقرة: الأرشيف العسكري العثماني.

البديري، محمد الحلاف. (١٩٥٩). حوادث دمشق اليومية(١١٥٤-١١٧٥هـ/١٧١٤-١٧٦٢م) (المجلد ١). (أحمد عزت عبد الكريم ، المحرر) القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

بروكهارت، جان لويس. (١٩٩٢). رحلات في شبه جزيرة العرب (المجلد ١). (عبد العزيز الهلابي، و عبد الرحمن الشيخ ، المترجمون) بيروت: دار الرسالة.

بشارة، آمال، (٢٠٢٥). الرواية الشفوية: تفاعل دائم مع الحاضر والمستقبل.

جريدة أم القرى . (٢٧ ديسمبر, ١٩٢٥). وثيقة تاريخية.

الجندي، سليم محمد. (١٩٦٣). تاريخ معرة النعمان (المجلد ١). دمشق: وزارة الثقافة

الخريف، بدر. (٢٠١٤). مواقف السعودية مع سورية. الشرق الأوسط(العدد١٢١٦٧).

الدارة، دارة الملك عبد العزيز . (٢٦ أكتوبر, ١٩٢٤). الوثيقة رقم ٩٧٠من الملك عبد العزيز إلى الشيخ عيسى بن خليفة. الرياض: دارة الملك عبد العزيز.

درويش، مطلق عبد الستار. (٢٠١٣). الاحتلال الصليبي لمعرة النعمان (٤٩٢هـ/١٠٩٨م). مجلة جامعة الأنبار للعلوم الانسانية.

الدوسري، حمساء حبيش. (٢٠١٨). قوافل الحج والتجارة ودروبها المختلفة إبان العصر العثماني (٩٣٢-١٢١٨هـ/١٥١٧-١٨٠٣). مجلة كلية الآداب جامعة قنا.

الرشيدي، مناور حياة. (٢٠١٦). دور الحج في إثراء العلاقات السياسية والاقتصادية بين مكة وبلاد الشام من خلال حكم آل العظم. مجلة العلوم العربية والإنسانية.

رفعت، إبراهيم. (١٣٤٤هـ). مرآة الحرمين (المجلد ١). القاعرة : دار الكتب المصرية.

الريحاني، أمين. (١٩٨٧). ملون العرب رحلة في البلاد العربية (المجلد ١). بيروت: دار الجيل.

الريحاني، أمين. (٢٠١٧). تاريخ نجد وملحقاته (المجلد ١). لندن، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

الزهراني، ضيف الله ، وعادل غباشي. (١٩٩٨). تاريخ مكة المكرمة التجاري (المجلد ١). مكة المكرمة: الغرفة التجارية والصناعية بمكة المكرمة.

سعيد، أمين . (١٩٨٨). الثورة العربية الكبرى (المجلد ١). القاهرة: مكتبة مدبولي.

السلمي، إلهام عطية . (٢٠١٤). العلاقات السعودية السورية في عهد الملك عبد العزيز١٣١٩-١٣٧٣هـ/١٩٠٢-١٩٥٣م). مكة المكرمة : جامعة أم القرى.

شربل، كمال موريس. (١٩٩١). الموسوعة الجغرافية للوطن العربي (المجلد ١). بيروت: دار الجيل.

الشرفات، إبراهيم محمد خلف . (٢٠٢٠). الدور العسكري والسياسي للأمير فيصل بن الحسين (١٩٠٨-١٩٢٠) (المجلد ١). عمان ، الأردن: جامعة آل البيت.

شمسي، أحمد فوزي. (٢٠١٩). شهداء حلب خلال الحرب العالمية الأولى. دورية كان التاريخية.

شودري، أنيس. (٢٠٢٠). المملكة العربية السعودية صور وذكريات . مكة المكرمة.

عاشور، عبد الفتاح سعيد. (٢٠١٠). الحروب الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى (المجلد ١). القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية.

العبد، محمد علي. (١٩٧١). فدائيون في تاريخنا. مجلة العرب.

العتيبي، إبراهيم عويض. (١٩٩٨). تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ١٩٢٤-١٩٥٣. الرياض: جامعة الملك سعود.

العقيل، عبد الله صالح. (بدون تاريخ). ناصر بن علي بن محمد بن دغيثر بطل معركة ميسلون (المجلد ١). الرياض.

العوفي، أريج محسن . (٢٠١٣). جهود الملك عبد العزيز في حفظ الأمن في الحجاز (١٣٤٤-١٣٧٣م/ ١٩٢٥-١٩٥٣م) (المجلد ١). مكة المكرمة : كري الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ مكة المكرمة.

الغازي، عبد الله محمد. (من دون تاريخ). إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام (المجلد ١). (عبد الملك دهيش، المحرر) مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية : مكتبة الأسدي.

الغامدي، محمد جمعان. (٢٠٠٠). جدة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ١٩٢٣-١٩٥٣ (المجلد ١). القاهرة: الوادي الجديد.

فارسي، محمد سعيد. (١٩٨٢). التكوين المدني والحضري لمدن الحج بالمملكة العربية السعودية. الاسكندرية، مصر: جامعة الاسكندرية.

قاسمية، خيرية. (٢٠١٧). الحكومة العربية في دمشق ١٩١٨-١٩٢٠ (المجلد ١). عمان، الأردن: وزارة الثقافة.

قميرة، عبد الكريم. (٢٠١٣). معركة ميسلون عنوان الكرامة في التاريخ العربي. مجلة المعرفة (العدد٥٨٩).

كيفي، إيمان. (٢٠١٣). الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود (١٤٣٤-١٤٧٣هـ/١٩٢٤-١٩٧٣م) (المجلد ١). مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية: كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ مكة المكرمة.

مبارك، ريان. (٢٠١١). ممارسة العلاقات العامة عبر الشبكات الاجتماعية، دراسة تحليلية. تاريخ العلوم.

مجموعة مؤلفين . (بلا تاريخ). الملك سعود بن عبد العزيز. طبيب مصري عالج الأمير سعود بن عبد العزيز . الرياض.

مجموعة مؤلفين. (١٩٩٣). المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري (المجلد ١). دمشق: مركز الدراسات العسكرية.

المحبي، محمد. (١٩٩٧). خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت: دار صادر .

المهنا، يوسف عبد العزيز. (٢٠١٥). الرواية الشفهية في التاريخ المحلي بين القبول والرد. الجزيرة.

الموسى، سليمان. (٢٠١٧). لورنس والعرب وجهة نظر عربية (المجلد ١). عمان : وزراة الثقافة.

نصر، عبد الرحمن. (بدون تاريخ). عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (المجلد ١).

نصيف، حسين محمد. (١٣٤٣هـ). ماضي الحجاز وحاضره (المجلد ١). القاهرة، مصر : مكتبة خضير عبد العزيز.

وهبة، حافظ. (٢٠٠١). خمسون عاماً في جزيرة العرب (المجلد ١). القاهرة: دار الآفاق العربية.

References

-Al-'Aqil, A. S. (n.d.). Nasser bin Ali bin Mohammed bin Dughaithir: Hero of the Battle of Maysalun (Vol. 1). Riyadh.

-Al-'Awfi, A. M. (2013). King Abdulaziz's Efforts in Maintaining Security in the Hijaz (1344-1373 AH / 1925-1953 CE) (Vol. 1). Mecca: King Salman Chair for the Studies of Mecca History.

Al-Abd, M. A. (1971). Fedayeen in Our History. Al-Arab Journal.-

-Al-Budairi, M. Al-H. (1959). Daily Events of Damascus (1154-1175 AH / 1714-1762 CE) (Vol. 1). (A. E. Abdul Karim, Ed.). Cairo: Egyptian Society for Historical Studies.

-Al-Darah, King Abdulaziz Foundation. (1924, October 26). Document No. 970 from King Abdulaziz to Sheikh Isa bin Khalifa. Riyadh: King Abdulaziz Foundation.

-Al-Dosari, H. H. (2018). Caravans of Pilgrimage and Trade Routes during the Ottoman Era (932-1218 AH / 1517-1803 CE). Qena University Journal of Arts.

-Al-Ghamdi, M. J. (2000). Jeddah during the Reign of King Abdulaziz Al Saud (1923-1953) (Vol. 1). Cairo: Al-Wadi Al-Jadeed.

-Al-Ghazi, A. M. (n.d.). Ifadat al-Anam fi Dhikr Akhbar al-Balad al-Haram (Vol. 1). (A. Daheesh, Ed.). Mecca, Saudi Arabia: Al-Asadi Library.

-Al-Jundi, S. M. (1963). History of Ma'arrat al-Nu'man (Vol. 1). Damascus: Ministry of Culture.

-Al-Kharif, B. (2014). Saudi Arabia's Stance with Syria. Asharq Al-Awsat (Issue 12167).

-Al-Muhanna, Y. A. (2015). Oral Narrative in Local History: Between Acceptance and Rejection. Al-Jazeera.

-Al-Muhibbi, M. (1997). Summary of the Notables of the Eleventh Century. Beirut: Dar Sader.

-Al-Mousa, S. (2017). Lawrence and the Arabs: An Arab Perspective (Vol. 1). Amman: Ministry of Culture.

-Al-Otaibi, I. O. (1998). State Regulations during the Reign of King Abdulaziz (1924-1953). Riyadh: King Saud University.

-Al-Rashidi, M. H. (2016). The Role of Pilgrimage in Enhancing Political and Economic Relations between Mecca and Bilad al-Sham under the Rule of Al-Azm Family. Journal of Arab and Human Sciences.

-Al-Rihani, A. (1987). Muluk al-'Arab: Journey in the Arab Lands (Vol. 1). Beirut: Dar Al-Jil.

-Al-Rihani, A. (2017). History of Najd and Its Appendices (Vol. 1). London, UK: Hindawi Foundation.

-Al-Sharafat, I. M. K. (2020). The Military and Political Role of Prince Faisal bin Al-Hussein (1908-1920) (Vol. 1). Amman, Jordan: Al al-Bayt University.-

-Al-Sulami, E. A. (2014). Saudi-Syrian Relations during the Reign of King Abdulaziz

(1902–1953 CE). Mecca: Umm Al-Qura University.-

-Al-Zahrani, D., & Ghubashi, A. (1998). The Commercial History of Mecca (Vol. 1). Mecca: Chamber of Commerce and Industry.

-Ashour, A. F. S. (2010). The Crusades: A Bright Page in the History of Islamic Jihad in the Middle Ages (Vol. 1). Cairo: Anglo-Egyptian Library.

-Bishara, A. (2025). Oral Narratives: A Continuous Interaction with the Present and Future.

-Burckhardt, J. L. (1992). Travels in the Arabian Peninsula (Vol. 1). (A. Al-Hilabi & A. Al-Sheikh, Trans.). Beirut: Dar Al-Risalah.

Chaudhry, A. (2020). Saudi Arabia: Pictures and Memories. Mecca.-

-Darwish, M. A. S. (2013). The Crusader Occupation of Ma'arrat al-Nu'man (1098 CE). Anbar University Journal of Humanities.

-Farsi, M. S. (1982). Urban and Civil Formation of the Pilgrimage Cities in Saudi Arabia. Alexandria, Egypt: University of Alexandria.

-Group of Authors. (1993). Geographical Dictionary of the Syrian Arab Region (Vol. 1). Damascus: Center for Military Studies.

-Group of Authors. (n.d.). King Saud bin Abdulaziz: An Egyptian Doctor Treated Prince Saud bin Abdulaziz. Riyadh.

Idris, A. Q. (2000). Memoirs of Abdul Qader Idris. (K. Idris, Interviewer). Jeddah.-

-Idris, H. (2024). Interview with Professor Haitham Idris. (H. Al-Hazouri, Interviewer).

Idris, M. K. (2025). Documents of Abdul Qader Idris. Jeddah, Saudi Arabia.-

-Kifi, I. (2013). Social Life in Mecca during the Reign of King Abdulaziz Al Saud (1924–1973) (Vol. 1). Mecca: King Salman Chair for the Studies of Mecca History.

-Mubarak, R. (2011). Practicing Public Relations through Social Networks: An Analytical Study. History of Science Journal.

Nasr, A. R. (n.d.). Abdulaziz bin Abdul Rahman Al-Faisal Al Saud (Vol. 1).-

-Nassif, H. M. (1343 AH). The Past and Present of the Hijaz (Vol. 1). Cairo, Egypt: Khudair Abdulaziz Library.

Ottoman Archives. (2024). Historical Record. Istanbul: Ottoman Archives.-

Ottoman Archives. (n.d.). Historical Document. Istanbul, Turkey.-

-Rifaat, I. (1344 AH). Mirror of the Two Holy Mosques (Vol. 1). Cairo: Egyptian National Library.

Said, A. (1988). The Great Arab Revolt (Vol. 1). Cairo: Madbouly Library.-

-Sharbel, K. M. (1991). Geographical Encyclopedia of the Arab Homeland (Vol. 1). Beirut: Dar Al-Jil.

-Shamsi, A. F. (2019). Martyrs of Aleppo during World War I. Kan Historical Journal.

Umm Al-Qura Newspaper. (1925, December 27). Historical Document.-

-Wahbah, H. (2001). Fifty Years in the Arabian Peninsula (Vol. 1). Cairo: Dar Al-Afaq Al-Arabiya.